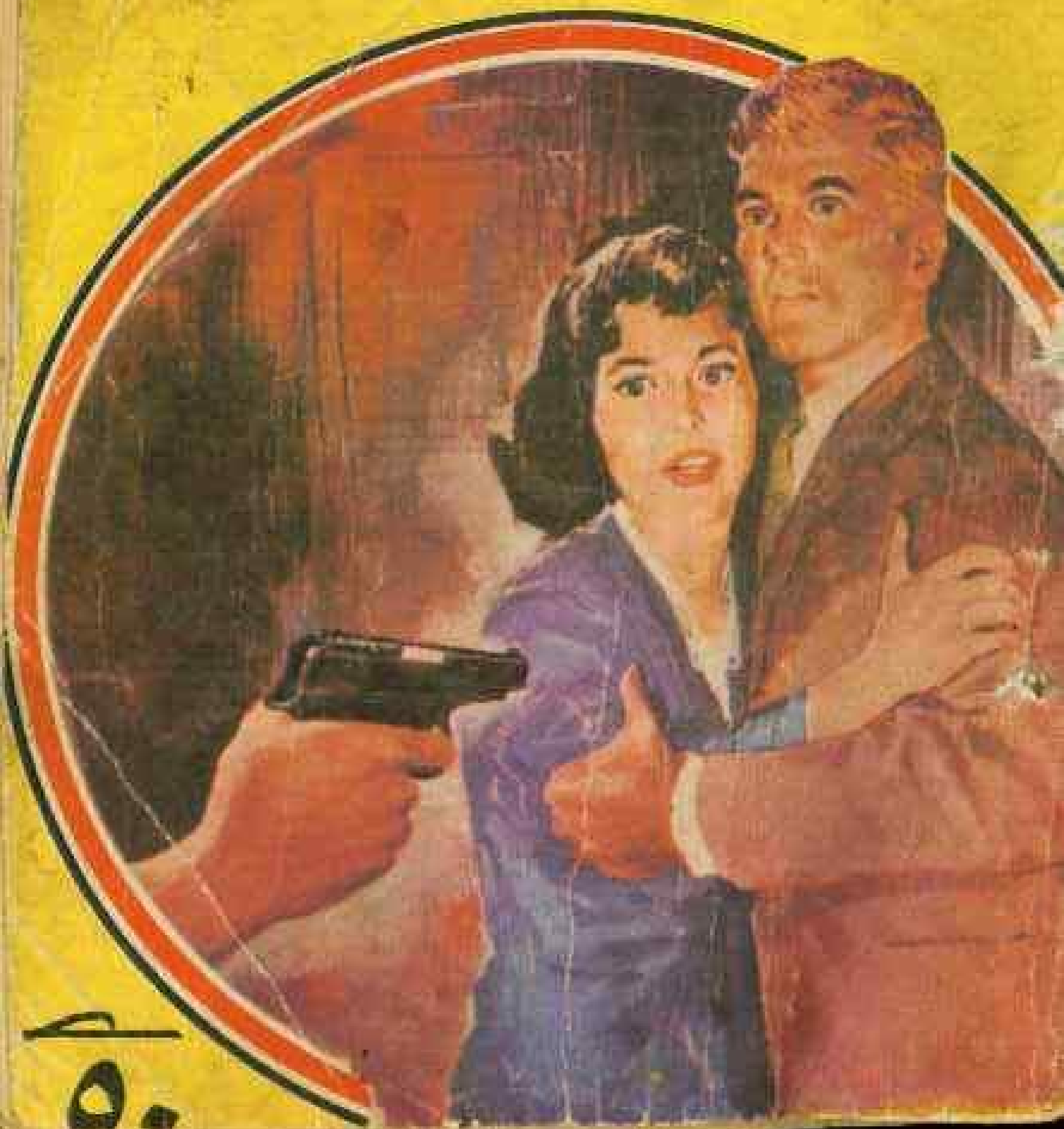
مغامرات

أرسين لوبين

أرسين لوبين في روسيا



القسم الأول

اليـــد الخفيـــة

الفصل الأول - مرح وقتل

- لقد جاء الفرنسي يا سيدتي .
- والى اين ذهبت به ؟
- الى غرفة الاستقبال
- لماذا لم تذهب به الى الغرفة الصغيرة المجاورة لغرفة « ناتاشا » ، كما امرتك يا اورميلوف .
- عفوا يا سيدتي . لقد اردت أن أفتشـــــه فلكمني . وحاولت أن أصعد به الى الطابق الأول فرفض .
- ألم تقل له إن كل انسان يجب أن يفتش قبل أن يسمح له بدخول هذا المنزل وان والدتي نفسها تخضع لهـــذه القاعدة ؟
- لقد قلت له ذلك يا سيدتي . وحدثته عن والدتك وكيف أنها تفتش كلما جاءت لزيارتك .
- وبماذا أجاب ؟
- أجاب بانه ليس والدتك .
- حسنا .. في استطاعتك أن تعفيه من التفتيش .
- سوف يغضب مدير البوليس اذا علم بذلك .

ـ سأتفاهم مع مدير البوليس · اذهب أنت لحراسة الباب الخارجي يا أورميلوف ·



دار هذا الحديث القصير بين ماتريتا بتروفنـــا والجندي الشيخ أورميلوف · ثم انصرف الجندي الى حديقـــة القصر لحراسة الباب الخارجي وصعدت ماتريتا بتروفنا الى الطابق الاول وقصدت الى غرفة زوجها ·

كان زوجها الجنرال فيودور ترياسوف جالسا في مقعد كبير · وقد دار حوله نفر من الاتباع والزائرين الذ الاختلاف على بيته للجلوس اليه .. وادخال التسلية نفسه وهو جالس في مقعده لا يستطيع مبارحته بسبب الجرح الخطر الذي أصاب ساقه في حادث اعتداء كاد يودي بحياته ·

فتحت ماتريتا بتروفنا باب الغرفة ودخلت · فلم يلق أحد باله اليها ومضى المستشار ايفان بتروفتش يسرد على أصحابه آخر ما سمع من الدعابات والطرائف · ثم راح الجنرال ترياسوف يقص على سامعيه كيف أنه أقام مع بعض زملائه الضباط حفلة شمبانيا لجياد الحرس القيصري حينما كان الجنرال لا يزال من صغار ضباط الحرس · ووصف كيف راحت الجياد تصهل وترقص بعد اذ انتشت وثملت · فانفجر القوم ضاحكين واغرورقت عيونهم بالدموع ·

ماتريتا بتروفنا الى بعض هذه الأحاديث .. ولم وار زوجها وأصحابه في مرحهم .. بل هزت رأسها في من السأم وانسحبت من الغرفة بعد أن أجالت بصرها قلق بين ناتاشا ابنة زوجها والضابط بوريس مورازوف كان ينظر الى ناتاشا باستمرار ولا يحول عينيـــه عن الفاتن ·



سحبت زوجة الجنرال من الغرفة .. وهبطت الى الطابق في طريقها بقاعة صغيرة تقع في مواجهة قاعة

كان باب القاعة الصغيرة مفتوحا .. فابصرت ماتريتـــا نا بداخلها رجلا جاثيا على يديه وركبتيه · وقد كان ت يستطيع أن يرى كل من يجتاز باب المنزل ·

كان الرجل يرتدي ثياب البوليس فلم يكد يقع بصره على الجنرال حتى أومأ باصبعه نحو قاعة الاستقبال .. رت ماتريتا بتروفنا برأسها مرارا اشارة الى أنها تعلم ود شخص اجنبي في تلك القاعة ..

كان يوجد حول منزل الجنرال وفي كل ركن من أركانه من رجال البوليس لمراقبة الزائرين · محافظة على حياة رال فيودور ترياسوف · وهو اجراء اقتضاه وقوع

ثلاثة اعتداءات متوالية على حياة الجنرال الذي كان يشغ
منصب حاكم موسكو العسكري .

كان الجنرال قد استطاع أن يخمد ثورة هائلة دبرهـ
الفوضويون في موسكو .. وقد أخمدها بسرعة ... ولكـ
باستعمال شتى ضروب القسوة والعنف ... وكانت النتيجـ
أن قرر الفوضويون اغتياله ... وأن راحت تترى عليـ
رسائل التهديد بالموت .. جزاء ما اقترف هو ورجـاله مـ
الفظاعات في حادث تلك الثورة التي أعدم فيها عـدد كبيـ
من طلاب جامعة موسكو وهلكت فيها زهرة شباب العاصـ
الروسية .

وقد أصبحت ماتريتا بتروفنا ـ بعد حوادث الاعتـ
الثلاثة ـ لا تعيش الا من أجل زوجها .. فهي تقضي النهار
تشجيع رجال البوليس وحثهم على السهر على حياة زوجها .
وتقضي الليل في التجول بين غرف المنزل ، واستقصاء كـ
صوت غريب ، وكل حركة غير عادية . وقد كان لهذه الزو
المخلصة من الملاحظات ما حفزها على تشديد المراقبة ، ولـ
تفض بهذه الملاحظات الى كائن من كان غير كوبريان مد
البوليس الذي أفضى بها بدوره الى القيصر . فاستقدم القيـ
من فرنسا خصيصا رجلا من أمهر رجـال البوليس السـ
فيها ، هو المفتش جوستاف بوريل ، وأناط به مهمة التعا
مع كوبريان على اماطة اللثام عن المؤامرات التي تدبر لقتـ
حاكم موسكو العسكري .

❋ ● ❋

دخلت ماتريا قاعة الاستقبال لمقـابلة جوستاف بوريل
الذي ابلغها اورميلوف بقدومه .

اجالت الطرف في انحاء الغرفة . ولكنهـا لم تر أثرا
للزائر الفرنسي .

ثم حانت منها التفاتة الى باب آخر في قاعة الاستـقبال
يؤدي الى غرفة الطعام .. ولاحظت انه مفتوح قليلا .

دهشت .. لأنها أغلقت هذا الباب بنفسها في اليـوم
السابق .. واحتفظت بمفتاحه في غرفتها ... لكي يسهل
على رجال البوليس مراقبة الزائرين فلا يتحين أحدهم فرصة
. وينفذ الى غرفة الطعام فالى الدهليز فالى الطابق الأول
حيث يقيم الجنرال ..

أسرعت الى الباب ونفذت منه الى غرفة الطعام .. وهناك
وقع بصرها على منظر أدهشها أولا ، ثم جعل فمها يفتر عن
ابتسامة .

رأت رجلا في مقتبل العمر ، معتدل القامة جالسا على حافة
المائدة ، وقد أقبل على الطعام بنهم كأنه لم يتذوق شيئا منذ
أسبوع .

وشعر الرجل بدخول زوجة الجنرال . فوثب من مكانه
وحاول أن يتكلم . فتخرج من فمه الملىء بالطعام صـوت مبهم
جعل ماتريا بتروفنا تغرق في الضحك ، وهي التي لـم
تضحك منذ بضعة شهور .

وابتلع الرجل الطعام بسرعة : ثم قال بالفرنسية :

أرجو المعذرة يا سيدتى .. ولكن القيصر نسى أن يدعونى لتناول طعام الغذاء .

فنظرت ماترينا بتروفنا حولها . ثم استقرت عيناها على الباب وهتفت :

ـ ولكن كيف ؟

وامسكت عن الكلام ، فادرك بوريل غرضها . وقال :

ـ وليس أسهل على اللص ورجل البوليس السرى من فتح الابواب المغلقة .. ولكن لولا أن رائحة الطعام حلات خياشيمى .

فقاطعته ماترينا بابتسامة . وسألت :

ـ هل قابلت جلالة القيصر ؟

ـ انى قادم للتو من قصره ... انه يملك أبدع مجموعة من اللآلىء والاحجار الكريمة وقع عليها بصرى . ولكن هل لى الشرف بالتحدث الى زوجة الجنرال تربياسوف ؟

ـ نعم يا سيدى ؟ وأنت ؟ ألست مسيو جوستاف بوريل

فانحنى بوريل قامته ، وقال وعيناه تلمعان بتهكم ودهاء :

ـ نعم يا سيدتى ، جوستاف بوريل مفتش البوليس بادارة الأمن العام بباريس . وأنا على استعداد لخدمتك وخدمة زوجك ولكن بشرط ألا يكون لى شأن مع السادة الفوضويين .. وقد ذكرت ذلك لوزير الداخلية حين انتدبنى لهذه المهمة ، وذكرته كذلك لجلالة القيصر .

ـ هل ذكر لك جلالة القيصر شيئا عن المهمة التى انتدبت لها ؟

ـ ان رجاله انتزعونى من القطار قبل أن أصل الى موسكو ، وذهبوا بى توا الى قصر (تزاكوى سيلو) حيث وجدت جلالة القيصر فى انتظارى . انه فى الحق رجل ظريف وقد فهمت منه أنه من أكثر الناس اهتماما بقراءة الصحف الفرنسية وأنباء رجال البوليس الفرنسى وحوادث ارسين لوبين .

فنظرت اليه ماترينا بتروفنا كمن لم يفهم من كلام محدثه شيئا وغمغمت :

ـ أرسين لوبين ! عفوا يا سيدى . فاننى لا أجد متسعا من الوقت لقراءة الصحف الأجنبية . ولكن ماذا قال لك جلالة القيصر ؟

ـ قال لى ان رجال البوليس السرى فى فرنسا قد تعلموا بفضل أرسين لوبين طريقة كشف الجرائم الغامضة .. والغاز المستعصية .. وأنه لذلك قد طلب انتداب أحد مفتشى البوليس للتعاون مع رجال بوليس موسكو على حل مشكلة غير عادية ..

ولما أنبأته باننى لا أود ان تتوتر العلاقات الودية بينى وبين السادة الفوضويين وأريد العودة الى وطنى ورأسى بين كتفى .. قال لى وهو يبتسم ان المهمة التى انتدبت لهـا

ليست من المهام السياسية .. ولكنها مهمة تنصب على حياة خادمه المخلص الجنرال تريباسوف .. الذي أوشك يذهب ضحية أغرب مأساة عائلية يمكن أن ...

فامتقع وجه ماتريا بتروفنا في الحال وهتفت :

ـ آه ...

ولاحظ بوريل امتقاعها وارتجاف أصـــابع يديها فاستطرد دون أن يبدو عليه أنه لاحظ شيئا :

ـ وقد قال لي القيصر بالحرف الواحد :

« انني وزوجة الجنرال نلح عليك بألا تدخر وسعا في انقاذ زوجها ومعرفة مصدر الخطر الذي يهدد حياته والآن تستطيع أن تذهب لمقابلة زوجة الجنرال فانها تنتظرك على أحر من الجمر » .

وصمت بوريل .. وانتظر جواب ماتريا بتروفنا . فتفكرت هنيهة لحظة . ثم سألت :

ـ هل قابلت الجنرال كوبريان !؟

ـ تعنين مدير البوليس ؟ نعم .. انني قابلته . وقد رافقني بعد انصرافي من القصر الامبراطوري . ولقد قوبلت في الحفلة مقابلة الملوك .

وهنا صمتت ماتريا بتروفنا لحظة . ثم قالت وهي تحاول لاخفاء انفعالها واضطرابها :

ـ اصغ الي يا مسيو بوريل . انني لست عند رأي الجنرال كوبريان ولست كذلك عند رأي جلالة القيصر ، وأريد أن أتحدث اليك في صراحة حتى لا تندم فيما بعد على تدخلك في أمر لا يخلو من المتاعب والأخطار .

ان زوجي لم يكن ولن يكون ضحية أية مأساة عائلية . فأسرتنا صغيرة . وتتكون مني ومن الجنرال والآنســـة ناتاشا ، ابنة الجنرال من زوجته الاولى . فلا محل اذن لأية مأساة بين ثلاثتنا . لأننا أسرة أعضـــاؤها متحدون ومتحابون .. كل ما في الأمر أن هناك طائفة من الفوضويين تحاول اغتيال زوجي . لأنه جندي مخلص قام بواجبـــه نحو عرش جلالة القيصر .

هذا كل ما هنالك يا سيدي العزيز .

❋ ● ❋

وكأنما أرادت زوجة الجنرال أن تغير مجرى الحـــديث فانها قالت على الأثر :

ـ أرى أنك جائع يا سيدي . وهذا مخيف . سندعوك لتناول الطعام معنا في التو واللحظة ، وعليك بعد الطعـــام أن تذهب في سبيلك .. نعم .. عليك أن تذهب في سبيلك وتتركني في مهمة الدفاع عن حياة زوجي .. سأحاول أن أنقذه بمفردي . سأحاول .

وقد نطقت بالعبارة الأخيرة بصوت ينم عن الحزن والانفعال .. واغرورقت عيناها بالدموع . فقال بوريل :

— مهما يكون من أمر سيدتي فان في استطاعتي أن أتعاون معك ، وقد قال لي (كوبريان) ان في الأمر سرا عويصا وأنا رجل مشغوف بكشف الاسرار العميقة ، وحل الالغاز المستعصية ..

فهزت ماتريننا بتروفنا رأسها وقالت :

— انني أعرف رأى كوبريان ووجهة نظره .. ولكنني لا أقره عليهما .

ثم نظرت الى بوريل بعينيها الواسعتين الساحرتين المغرورقتين بالدموع وقالت :

— لماذا لا تأكل يا سيدي .. تناول ما شئت من هذا الطعام . وانس كل ما سمعته من كوبريان .. نعم .. اجتهد متى عدت الى بلادك أن تنسى كل ما سمعته .

— انني أعدك بذلك يا سيدتي ..

— ان القيصر هو الذي أصر على استقدامك . أما أنا فاعتقد أنه لا يزال في استطاعتي أن ادافع عن زوجي .

وسالت الدموع من عينيها .. وهنا تذكر بوريل ما سمعه من كوبريان عن بسالة هذه الزوجة في مقاومة الموت الذي يطوف ببيتها ويهدد زوجها ..

تناول أصابعها المرصعة بالخواتم الماسية وشد عليها بين يديه . وقال في لطف :

— لا تبكي يا سيدتي .. انهم يريدون قتل زوجك . أليس

كذلك .. فلنتعاون اذن على النضال ، وأعدك بألا أدع أحدا يمس شعرة واحدة من رأس الجنرال .

— أتتعاون معي ضد الفوضويين ؟

— بل ضد العالم اجمع يا سيدتي .. انني أكلت أكثر طعامك .. وأصبحت ضيفك وصديقك .

وهنا شعر بأصابعها تشد على يديه بحرارة . قالت له :

— لقد حدثني كوبريان كثيرا عن براعة رجال البوليس الفرنسي . وقد حدث هنا منذ بضعة أسابيع حادث غامض سأذكره لك فيما بعد . فحفز هذا الحادث كوبريان على الاستعانة بأحد رجالكم .. وفاتح القيصر في ذلك فوافق وأصدر تعليماته الى السفارة الروسية في باريس لاستقدامك .

— آه .. وهكذا علم الناس جميعا بأنني منتدب لمهمة في روسيا .. وكانت النتيجة أن أحد السادة الفوضويين المبعدين في فرنسا فاجأني في القطار وأطلق عليّ الرصاص ليمنعني من الوصول الى روسيا .

— يا الهي .. وهل قتلك ؟

فأجاب بوريل وهو يبتسم :

— كلا طبعا .. ولكن رصاصاته أصابت أحد المسافرين معنا في المركبة فقتلته على الأثر .

— ولاذ القاتل بالفرار ؟

- انه وثب من القطار فسقط على الأرض وتهشمت جمجمته ..

- يالك من مسكين ، اذن قد قرر الأشقياء اعدامك أيضا .

- سوف يحاولون كثيرا قبل أن تصيبني قنابلهم ورصاصاتهم . والآن .. هل لك أن تسردي علي شيئا مما حدث لزوجك .

- يجب أن تتناول الطعام معنا أولا ، وأن أقدمك الى زوجي وابنته .

وفي هذه اللحظة حانت من بوريل التفاتة الى حديقة المنزل ، فرأى بعض الرجال يجوسون خلالها فهمس :

- رجال البوليس .. أليس كذلك ؟

فأطرقت ماتريونا بتروفنا برأسها علامة الايجاب .

سألها :

- كم عددهم ؟

- عشرة رجال .. وهم يستبدلون بغيرهم كل ست ساعات .

- أي أن أربعين رجلا مجهولا يدخلون هذا المنزل كل يوم .

- انهم ليسوا مجهولين .. انهم من رجال البوليس .

- ورغم ذلك فقد وجدت قنبلة في غرفة الجنرال .

- لم يكن يحرس المنزل وقتئذ غير ثلاثة رجال .. وقد زاد عددهم عقب هذا الحادث الى عشرة .

- وبعد أن أصبح عددهم عشرة وقع حادث .

فقاطعته في قلق :

- أي حادث ؟!

- أنت تعلمين . وقع حادث للأرض .؟

فرفعت سبابتها الى شفتيها وهتفت :

- صه ..

ونظرت حولها في جزع كأنها تخشى أن يكون هناك من سمع هذا الحديث ..

ثم همست :

- لا يوجد من يعلم بهذا الحادث . حتى ولا زوجي .

- هذا ما قاله لي الجنرال كوبريان . انه الذي اقترح عليك وضع عشرة من رجال البوليس لحراسة المنزل . أليس كذلك

- طبعا .

- اذن يجب أن تبدأي بطرد هؤلاء الرجال .

فأمسكت بيده في فزع . وسألت :

- أطردهم ؟ ماذا تعني ؟

- من الضروري معرفة مصدر الخطر .. وهذا المنزل يجمع أربعة عناصر من الناس : رجال البوليس .. والخدم وأصدقاء الأسرة .. وأفراد الأسرة .. ويجب الآن أن نبدأ بابعاد عنصر البوليس .. فنحن لسنا بحاجة اليهم في الوقت الحاضر .. بل انك لم تكوني قط بحاجة اليهم .. وقد رأيت انهم لم يستطيعوا منع أية محاولة من المحاولات

ى اوشكت أن تذهب بحياة زوجك .. سرحيهم ..وسوف
تندمين على التخلص منهم ..

ـ ولكنك لا تعرف رجال كوبريان .. فقد برهنوا حتى
على اخلاص منقطع النظير ..

صغى الى يا سيدتى .. اننى عندما أرى أحدالفوضويين
ل نفسى فى الحال ترى هل هو من رجال البوليس ؟ واذا
ت رجلا من البوليس سألت نفسى كذلك ترى هل هو من
فوضويين ؟

اعلم أن فوضى المبادىء السياسية جعلت من المتعذر
يز بين الصديق والعدو . ولكن ..

ترددت لحظة ثم استطردت :
ولكنى اعتقد أنهم لا يطيعوننى اذا امرتهم بالانصراف

هل بينهم من يتكلم اللغة الفرنسية ؟
ان رئيسهم يفهم هذه اللغة .. وهو قائم بالحراسة
غرفة المقابلة ..

دعينى أتحدث اليه .

اقبل الرجل الذى تكلمت عنه زوجة الجنرال بسط
بوريل ورقة عليها توقيع الجنرال كوبريان وقال له :
والآن عليك ان تأمر رجالك بالجلاء عن هذا المنزل ، وأن
بهم الى الجنرال كوبريان وتنبئه باننى الذى أمرتكم

لانصراف ، لاننى لست بحاجة الى التعاون معكم فى الوقت
حاضر .

وانحنى الرجل قامته باحترام .. ونظر الى ماترينا بتروفنا
ظرة تساؤل .. ولكنها اطرقت برأسها . فانصرف الرجل
ون ان ينطق بكلمة .

قالت ماترينا بشىء من الضراعة :
ـ أرجوك ان تنتظرنى لحظة ..

وانصرفت فى أثر الرجل ، ثم عادت بعد بضع ثوان وقالت
ودت بوريل :

ـ لم اشا أن أدع هؤلاء الرجال الأمناء ينصرفون هكذا ..
قد سألونى هل أنا غير راضية عن عملهم . ولكنى طمأنتهم
. واعطيتهم شيئا من النقود .

فقال بوريل :
ـ هذا صحيح .. ولكنك فعلت أكثر من ذلك .. اذكرى
حقيقة يا سيدتى ، انك طلبت اليهم الا يبتعدوا كثيرا عن
منزل .. وأن يستمروا فى الحراسة عن كثب .

فاحمر وجه ماترينا بتروفنا وقالت :

ـ نعم .. لقد طلبت اليهم ذلك .. ولكنهم انصرفوا على
ل حال انهم لا يستطيعون مخالفتك .. ما هذه الورقةالتى
عطتها امام كبيرهم ؟

— انهـا أمر من كوبريان لجميع رجال البوليس الذ
يحرسون هذا المنزل بأن يطيعونى وينزلوا على ارادتى .

— لو علم كوبريان بأنك ستستخدم هذا الأمر لطـ
رجاله من المنزل لما زودك به .

— الواقع أننى لم أسأله رأيه فى هذا . ولكنى أستط
التفاهم معه غدا .

فهتفت :

— ولكن من ذا الذى يقوم على حراسة المنزل الى أن يتم
التفاهم مع كوبريان ؟

فنظر فى عينيها الواسعتين الساحرتين وقال بلهجـ
الواثق بنفسه :

— نحن ..

الفصل الثانى ـ الحراسة

كانت الساعة التى قضاها بوريل مع الجنرال فيودور
ياسوف وضيوفه فى غرفة الطعام كافية الآن تكشف له عن
ير من الحقائق التى كان يتعين عليه الالمام بها .

علم أولا أن الجنرال تريباسوف رجل رابط الجأش ثابت
جنان لا تخيفه المؤامرات التى تدبر حوله ، ولا تزعجـه
خطار التى تتهدده ، وأنه رجل مسرف فى الشراب ، محب
عابة ، محبوب من زوجته وابنته ناتاشا .

وعلم ثانيا أن هناك ضابطين من حاشية الجنرال يتزاحمان
ل ناتاشا ، أحدهما بوريس مورازوف والثانى هو ميشيل
رساكوف .

وعلم ثالثا أن بوريس مورازوف ، وان يكن من أخلص
باع الجنرال تريباسوف ، الا أنه شاب رقيق الاحساس ،
قد نظم القصائد الشعرية فى رثاء الشباب الذين اعدموا
ى الثورة الأخيرة وشاركته ناتاشا هذا الشعور ، فراحت
غنى بقصائده ، وتوقع الحانها على البيانو ..

قضى بوريل بين القوم ساعة أو بعض ساعة تظاهر فيها
لاهتمام بالطعام والاصغاء الى ما يدور حوله من الأحاديث
الاستماع أخيرا الى ناتاشا وهى تغنى بصوتها الساحر .

وكان الجميع يتحدثون باللغة الفرنسية حتى لا يشعـر

بوريل بالجرح وسرعان ما ساد جو المكان شيء من الالفـ
صرف الأذهان والأنظار عن الضيف الجديد الذى راح يد
يداعب كلبا ضخما أنس اليه بسهولة وجعل يبصبص بذ
كلما مسته يد بوريل .

وبينما كان القوم يقهقهون لنكتة نطق بها المستشـ
ايفان بتروفتش بحثت ماترينا بتروفنا حولها عن بوريل فـ
تجد له أثرا . انطلقت من الغرفة وراحت تبحث عنه ور
بصرها عليه فجأة وهو يخرج من احدى الغرف والكلب فـ
أثره .

قال لها وهو يبتسم :

ـ هذه غرفة أنيقة يدل أثاثها ونظامها على ذوق سليم .

فاجابته :

ـ انها خاصة بالآنسة ناتاشا .. وتتصل بمخدعها .

ـ هذا ما لاحظته ، ولكن ما رأيك فى هـــــــذا الكلب يا سيدتى ؟ هل أنت مطمئنة الى حراسته وذكائه ؟

ـ انه كلب مخلص . ونحن نعتمد عليه كثيرا . وقد أمر كوبريان بان نحبسه فى الحديقة . وأكبر الظن أنه يخاف على رجاله أن يلتهمهم هذا الكلب الأمين .

فهز بوريل رأسه وقال :

ـ لقد أحسن كوبريان صنعا . فالكلاب لا تفيد الا فى مراقبة الغرباء ..

ونظر اليها نظرة ذات معنى . فاطرقت برأسها . ثم قالت لتغير مجرى الحديث :

ـ علم بنا .. لا شك انهم شعروا بغيابك كما شعرت .

ـ أود أن تحدثينى عن حوادث الاعتداء التى دبرت ضـد زوجك .

ـ هناك .. هناك .. فى الغرفة حيث ينتظرنا الجميع . لا أستطيع أن أترك زوجى دون حراسة .

ودفعت بوريل أمامها الى حيث كان القـــوم يتحدثون ويضحكون .

وجدا الجنرال لا يزال يصغى الى ايفان بتروفتش .وأبصرا بناتاشا وهى تتحدث الى ميشيل كورساكوف . اما بوريس فكان لا يحول عينيه عن ناتاشا .

انتحت ماترينا بتروفنا ببوريل ناحية . وراحت تسرد عليه حوادث الاعتداء . قالت :

ـ لقد وقعت ضد زوجى ثلاث حوادث اعتداء الحـــادث الاول فى موسكو .. كان زوجى يوم الحـــــادث يتاهب للخروج .. فحمل اليه أحد أتباعه نسخة من المنشور الذى الصقه الفوضويون على جدران المنازل ، وصرحوا فيه بأنهم قرروا قتل زوجى . فلما قرأ الجنرال محتويات المنشـــور صرف الحراس الذين اعتادوا مرافقته فى روحاته وغدواته. فسألته عن غرضه من ذلك . فأجاب بأنه يريد اجتيـــاز شوارع المدينة جميعا دون حرس أو أتباع ، ليثبت لأهـــل

موسكو انه رجل لا يخشى التهديد والوعيد . فصممت على مرافقته ففكر قليلا ثم قال : « حسنا . ان مرافقتـــك اياى سيكون لها وقعها فى النفوس » .

وانطلقت بنا المركبة فى شوارع المدينة وكان السائق كلما ساط الجياد لتسرع .. انتهره زوجي وأمره بان يبطىء فى سيره حتى لا يتوهم أحد انه خائف .

وقد لاحظت يومئذ أن المارة كانوا يفرون فزعا كلمـــا وقعت ابصارهم على مركبتنا . وقد أغرق زوجي فى الضحك عندما لاحظ ذلك .. وقال لى بصوت ينم عن الأسف : ان أهل المدينة يفسحون لى الطريق . انهم يفزعون منى كما لو كنت جلادهم . ولكنهم لا يعلمون كم أحبهم وأعطف عليهم .

واستمرت المركبة فى طريقها .. وراحت تنتقل بنا من شارع الى شارع دون أن يقع حادث .

بيد أننا لم نكد نجتاز الميدان الاحمر حتى صادفنا طائفة من رجال البوليس وبينهم سجينان .. أحدهما شـــاب فى مقتبل العمر والآخر طفل فى التاسعة من عمره وكان أحد الجنود ينهال بالسوط على جسم الطفل . والطفل يتمـــرغ على الأرض ويصرخ صراخا محزنا يفتت الاكباد .

أما الشاب فكان يتلقى ضربات السياط دون أن ينطـــق بكلمة ودون أن يحول رأسه يمنة أو يسرة ..

هالنى هذا المنظر فاستوقفت المركبة . وصرخت بالضابط الذى يرافق رجال الشرطة .

ـ الا تخجل يا هذا ؟ كيف تجرؤ على ضرب غلام كهـــذا لا يستطيع عن نفسه دفاعا ؟

فاجاب الضابط بان هذا الغلام قد قتل أحـــــد ضباط البوليس برصاصة اطلقها عليه فى عرض الطريق .

واخرج الضابط المسدس التى استعمله الغلام .

كان اضخم مسدس رايته فى حياتى . وقد أدهشنى أن يتمكن مثل ذلك الغلام الصغير من حمله واطلاقه .

قال زوجي محدثا الضابط :

ـ وهذا الشاب ماذا فعل ؟

فاجاب الضابط :

ـ انه طالب خطر .. وقد حاصرنا البيت الذى يقطنه ، ولما أوشكنا أن نهدم البيت بقنابل المدافع سلم الشقـــــى نفسه ، لا خوفا من القنابل ، وانما اشفاقا على صاحب البيت من أن نهدم بيته .

ـ هذا حسن . ولكن لماذا تضربونه بالسياط ؟

ـ لانه طالب خطر .

فاجاب زوجى :

ـ هذا السبب لا يكفى ، انه سيعدم اذا كان يستحق الاعدام ، وكذلك هذا الغلام ، فينبغى الا يضربا .. انكم اعطيتم هذه السياط لا لضرب المعتقلين العزل من السلاح ، وانما لتشتيت الجماهير التى ترفض اطاعة الاوامر . هل سمعتم ؟ انى آمركم بالا تضربوا هذين السجينين ، انا الجنرال تريباسوف ، حاكم موسكو العسكرى .

وقد كان ما قاله زوجى هو عين الحكمة وعين الانصاف ، ولكنه لقى جزاء سنمار ، لانه ما كاد ينطق باسمه ويقول انه حاكم موسكو العسكرى حتى هتف الطالب :

ـ أهذا أنت يا تريباسوف ؟

وشهر مسدسا لا اعلم اين كان يخبئه .. وراح يطلق رصاصاته علينا .

لم يصب زوجى باذى لحسن الحظ .. أما انا فقد القيت بنفسى على ذلك الطالب الخطر ، وامسكت بساعده حتى لا يصيب الهدف .. وما زلت ممسكة به هكذا حتى أفاق رجال البوليس من دهشتهم وذعرهم واسرعوا لمعاونتى .. فطرحوا الشاب أرضا وانهالوا عليه ضربا بالسياط والاحذية .

وكانت الرصاصات لا تزال تنقذف من فوهة المسدس .. فاصابت ثلاثة من رجال الشرطة ، وصرعتهم فى الحال .

وعندئذ وثب زوجى من مركبته ، ولكن أحد الشرطة الذين

كادوا يبطشون بالطالب ، وأجلس هذا الاخير فى المركبة وذهب به الى اقرب مركز للبوليس .

هذه اولى المحاولات .. ولكنها لم تكن محاولة مدبرة ، بل كانت فى الواقع معركة كغيرها من المعارك التى نشبت فى الايام السابقة بين الفوضويين ورجال البوليس .

على انه لم تكد تنقضى بضعة ايام حتى وقعت المحاولة الثانية لاغتيال زوجى .

وفى هذه اللحظة دخل أورميلوف حاملا بعض زجاجات الشمبانيا ، فقال بوريل محدثا ماتريشا :

ـ والمحاولة الثانية ؟

فأجابت :

ـ وقعت المحاولة الثانية فى موسكو كذلك .. وكان وقوعها على غير انتظار .

كنا قد تناولنا طعام الغداء وخرجنا للنزهة ، ومعنا الضابط توريس .. اما ناتاشا فكانت قد ذهبت لزيارة بعض الاصدقاء .

وكانت الثورة قد أخمدت تماما . وأخلد أهل العاصمة الى الهدوء ، حتى خيل الينا أن المياه عادت الى مجاريها وأن الفتنة قد خبا اوارها .

ولكن المركبة ما كادت تسير بنا بضعة أمتار حتى دوى صوت انفجار هائل .. ووجدنا أنفسنا بأسرع من لمح البصر ممددين على الأرض . وقد تبددت المركبة تماما ونفق الجوادان .

أما زوجي فقد أصابته احدى شظايا القنبلة فجرحت ساقه جرحا بليغا لا يزال يعاني منه حتى الآن .

وأما أنا وبوريس فلم نصب بغير خدوش .

وأما السائق المسكين فلم يبق منه غير قبعته وسط بحيرة من الدماء .. والظاهر أن الأشقياء وضعوا قنبلة تحت مقعده . فلما انفجرت في الوقت المناسب مزقت جسمه اربا .

وقد لزم زوجي الفراش شهرين متواليين ، حدث بعدهما أن فاجأنا اثنين من الجنود في الطابق الأول من قصرنا ، ولم يكن لهما عمل في القصر فألقي القبض عليهما . وثبت عند التحقيق أن لهما صلة بالفوضويين والثوار فأعدما شنقا .

ولم يستطع زوجي أن يضطلع بأعباء منصبه بعد هذه الاصابة فأحل جلالة القيصر محله حاكما عسكريا آخر بصفة مؤقتة . وجزم زوجي أمره على السفر الى فرنسا للاستشفاء، فرحلنا بالقطار الى بطرسبرج . غير أن زوجي أصيب بالحمى أثناء هذه السفرة ونصح له الأطباء بالراحة التامة فجئنا الى هذا المنزل الخلوي .

وهنا كفت ماترينا بتروفنا عن الكلام لأن الغرفة امتلأت بأصوات القهقهة والضحك على أثر نكتة مستملحة فاه بها المستشار ايفان بتروفتش .

قال بوريل محدثا زوجة الجنرال :

ـ انهم من أشد الناس مرحا ، رغم علمهم بأن هذا المنزل عرضة للنسف في كل لحظة .

وحانت من الجنرال التفاتة فلاحظ علامات الدهشة المرتسمة على وجه بوريل وأدرك معناها فقال له وهو يضحك :

ـ هل يدهشك أن ترانا نمزح ونمرح يا سيدي المفتش ؟

فأجاب بوريل :

ـ الواقع أن هذا المرح اذا دل على شيء فعلى البسالة

فقال ايفان بتروفتش :

ـ نحن نعتمد في سلامتنا على رعاية الله وحراسته . أما رجال البوليس فليست لي فيهم ثقة .

فقال الضابط ميشيل كورساكوف :

ـ لقد تجولت في الحديقة قبل الطعام .. فلم أر أثرا لرجال البوليس .

فسألت ناتاشا في شيء من القلق :

- أين ذهبوا اذن ؟

فقالت ماتريشا بتروفنا وهي تحاول التظاهر بالهـــدوء والاطمئنان :

- لقد أمرهم كوبريان بالجلاء .

فسألة ميشيل :

- ألم يستبدلوا بغيرهم ؟

- كلا .. وهذا ما لا أستطيع أن أفهمه .. ولا شك أنه حدث خطأ في تنفيذ أوامر مدير البوليس

فقال الجنرال :

- انني في الحق شديد الارتياح الى رحيلهم .. ويسرني أن أرى منزلي خاليا منهم .. ولو يوما واحدا

وهنا اقترح الضابطان ان يقضيا الليل في المنزل والحراسة بالتناوب .

فصاح الجنرال :

- كلا .. كلا .. يجب أن يذهب كل منكما الى مرقده .. أريد أن أرى منزلي في حالته العادية .. أما رحيـــل رجال البوليس فانه اذا دل على شيء فعلى أن ثقة كوبريان في رجاله ليست أعظم من ثقتي في خدمي .

وبعد .. فان مركز البوليس قريب من هنـــا .. وفي الاستطاعة ان نستنجد بهم وقت الحاجة .. نعم .. نعم ..

أريد جواسيس هنا .. ولا أريد حرسا خاصا .. طاب ساؤكم أيها السادة .. عودوا جميعا الى منازلكم

وهنا اقتربت بتروفنا من زوجها لتدفع مقعده المتحـــرك استطرد الجنرال كأنه يحدث نفسه :

- كلا .. كلا .. لا أريد هنا أحدا من رجال البوليس .. ن وجودهم يجلب النحس والشؤم ..

فقالت له زوجته بلهجة العتب :

- فيودور .. فيودور .. انهم يسهرون على حيـــاتك العزيزة .

فأجاب الجنرال :

- انني لا أقيم وزنا للحياة الا من أجلك ياماتريشا .

فهتفت ناتاشا :

- وأنا يا أبي ؟

فقال الجنرال مستدركا :

- ومن أجلك كذلك يا ابنتي .

وتناول يدي زوجته وابنته وقبلهما .

الفصل الثالث ـ حقائق

مكثت ماتريتا بتروفنا ساعة أو بعض ساعة بالقرب [...] فراش زوجها حتى اذا سمعت الجنرال يغطّ في نو[...] نهضت من مقعدها وسارت على أطراف قدميها حتى [...] الباب ، فأوصدته · وأخذت تطوف بأنحاء المنزل باحـ[...] منقبة ·

لم تكن تشعر بمثل القلق الذى شعرت به فى الـ[...] السابقة ، ليس فقط لشعورها بوجود بوريل على مقربة [...] وانما كذلك لأنها ارتاحت من مراقبة رجال البوليس ·

نعم ·· انها كانت فى الليالى السابقة ترقب الأ[...] والنوافذ والخدم ورجال البوليس · أما الآن فانها تخـ[...] من وجود هذا العنصر الغريب فى بيتها ، وأصبحت مهـ[...] محدودة ·

طافت بغرف المنزل ، وأغلقت النوافذ والأبواب ، وو[...] الى الباب الخارجى · واطمأنت الى أنه مغلق ·

ولكن أدهشها أنها لم تر أثرا لبوريل · فأين ذهب [...] اختفى ؟

وتحولت لتعود أدراجها الى غرفة زوجها ، ثم أجفـ[...] وجمدت فى مكانها ·

[...]ذلك انها رأت شبحا ينتصب فى الظلام فجأة ·

[...]تفت :

ـ من هذا ؟

وأجابها صوت طروب :

ـ [...]انا ·

ـ مسيو بوريل ، يا الهى ، لقد أرعبتنى ، أين كنت أيها [...]يطان ؟

ـ لقد رأيتك تغلقين النوافذ والأبواب بعناية ·· وهى [...] تنكرين عليها ·

ـ ولكن أين كنت ؟ اننى فتشت كل ركن فى المنزل بحثت [...] كل غرفة ·

ـ كنت مختبئا تحت مائدة الطعام ·

ـ آه ·· تحت المائدة ، لقد أمرت الخدم مرارا بالا يضعوا [...] الموائد أغطية كبيرة تخفى ما تحتها · ولكن هل رأيت أو [...]عت شيئا وأنت فى مخبأك ؟

ـ وماذا يستطيع الانسان أن يراه أو يسمعه فى هذا [...]زل ما دام زوجك قد نام والآنسة تاتانيا تستعد [...]وم ؟

فأجابت ماتريتا بلهجة تنم عن الصراحة والاخلاص :

ـ هذا صحيح · هذا صحيح ·

وتناولت يده ، وذهبت به الى مقعد كبير فى الفص
فاجلسته هناك ، وجلست بجانبه ، وسألته فى شى
القلق :

– وفى الحديقة ؟ هل رأيت أو سمعت شيئا هناك ؟

– سمعت الضابط بوريس يقول لزميله ميشيل وهو
ينصرفان : « ألا تذهب الى المدينة توا ؟ » فاجابه ميشـ
بالنفى ، ثم دار بينهما جدل باللغة الروسية لم أفهم منه
واحدة ، ولكنى أدركت من صوتيهما ولهجتيهما أنهما
على وفاق ، وأن كلا منهما لا يحب الآخر ،

– نعم ، ان كلا منهما لا يحب الآخر ، وكلاهمـا ي
ناتاشا ،

– وأيهما تحبه الآنسة ناتاشا ؟ يهمنى أن أعرف ،

– انها تزعم أنها تحب بوريس .. وفى اعتقادى أنهـ
تحبه .. ولكنى الاحظ أن لها بميشيل صلة وثيقة ..
التى تبادله الحـديث دائما ، وذلك مما يثير غيرة بوري
وغضبه .. وقد حظرت ناتاشا على بوريس أن يطلب يدها
بحجة أنها لا تريد أن تبتعد عن أبيها فى هذه الظروف الدقـ
التى تراه فيها مهددا بالقتل فى أية لحظة ،

– وأنت يا سيدتى ، هل تحبين ابنة زوجك ؟
– نعم انى أحبها ؟

– وهل تبادلك الآنسة ناتاشا هذا الحب ؟

– أعتقد ذلك ، نعم ، أعتقد أنها تحبنى ، وليس ثمـة ما يدعوها الآن تضغن على ، قلت لك منذ البداية اننا نعيش فى هذا المنزل فى وئام تام ، وقد ازداد هذا الوئام عقب حوادث الاعتداء ،

فقاطعها بوريل :
– انك لم تسردى على تفاصيل الحادث الثالث :

فهمت ماترينا بأن تجيب ، ثم امتنعت فجأة ، وأرهفت أذنيها وهمست :
– انصت ،

فاصاخ بوريل السمع ، ولكنه لم يتبين شيئا ،

سألته فى همس وذعر :
– ألا تسمع دقات كدقات الساعة ،
– كلا ، لست أسمع شيئا ،
– اصغ ، اصغ جيدا .. دقات كدقات الساعة ،

– وكيف تسمعين هذه الدقات .. وقد لاحظت أن جميع الساعات فى هذا المنزل معطلة ؟

– اننا عطلناها .. لكى نتمكن من تمييز دقات السـاعات التى تنظم انفجار القنابل ،

– لقد أدركت ذلك ، ولكنى لا أسمع الآن صوت هـذه الدقات ،

– حمدا لله · منذ حادث الاعتداء الثالث وصوت دقات الساعة يدوى فى أذنى · اننى أسمعه ليل نهار · وكثيرا ما كنت أسأل رجال البوليس هل يسمعون هذه الدقات فيجيبوننى بالنفى · اصغ · اصغ ·

فارهف بوريل أذنيه ثم قال :

– اننى أسمع كلاما ، ونحيبا ·

– هذا ان الجنرال يهذى ·

وذهبت به الى قاعة الطعام لكيلا يسمع هذيان الجنرال ·

وهناك قالت له :

– هل يدهشك أننا عطلنا جميع الساعات فى المنزل ؟ لقد نصح لنا كوبريان بأن نفعل ذلك ·· لكى يسهل علينا تمييز صوت القنابل التى تنفجر بجهاز كجهاز الساعات ·

فقاطعها بوريل بقوله :

– سيدتى اننى أسمع أنينا مزعجا ·

– كلا ·· لا تنزعج يا صديقى ·· ان الجنرال يهذى فى نومه كما قلت لك ·· انه لا يغمض له جفن اثناء الليل الا اذا تناول بعض العقاقير المخدرة وعند تناول هذه العقاقير اصابته حمى ·· فراح يهذى ·· والآن أتعد الى حديثنا ·· سأذكر لك تفاصيل الحادث الثالث ·· لتفهم سر انزعاجى من صوت دقات الساعة ·

حدث ذات مساء أن قصد زوجى الى مخدعه مبكرا ··· فانطلقت بدورى الى غرفتى وما كاد يستقر بى المقام فيها حتى سمعت دقات كدقات الساعة ·

كنت أعلم أن جميع الساعات فى المنزل معطلة ·· فاستولى على الذعر واصخت السمع جيدا حتى تبين لى أن صوت الدقات صادر من غرفة زوجى ··

اسرعت الى تلك الغرفة ·· فوجدت زوجى مستغرقا فى نومه ·

وكانت الدقات تدوى فى أذنى بشدة ·· ولكن أين مصدرها ؟

اخذت أدور حول نفسى كالمجنونة ·· وأنا أتوقع فى كل لحظة أن تنفجر الآلة الجهنمية فتهدم المنزل وتمزق اجسادنا ·

القيت بنفسى على الأرض ·· وأصغيت ·· والصقت أذنى بفراش زوجى ·· وخيل الى أن الصوت صادر من الوقد ·· فوثبت نحوه ودفنت أصابعى فى رماده · ولكنى لم أجد شيئا ·

واخيرا خيل الى أن الصوت صادر من الفراش فرفعت الأغطية واستيقظ زوجى فى هذه اللحظة وصاح بى :

– ماذا أصابك يامارتينا ؟

فصرخت : « اصغ .. اصغ .. الا تسمع هذه الدقات المنتظمة ؟! »

وأحطته بساعدى .. وحاولت أن أحمله . ولكنى كنت فى أشد حالات الضعف من تاثير الخوف والفزع . فسقط من بين ساعدى ولم أجد بوسعى الا أن أصيح فى طلب النجدة .

غير أن زوجى دفعنى وصاح بى .

ـ اصمتى .. اصمتى .

وأصاخ السمع معى . وعندئذ تبينا مصدر الصوت .

كانت الدقات صادرة من آنية فضية من أوانى الزهور موضوعة على مائدة قريبة فاسرعت الى المائدة وتناولت الآنية .. وقذفت بها من النافذة .

وفى تلك اللحظة بالذات .. انفجرت القنبلة وأحدث انفجارها دويا هائلا ... وتطايرت احدى الشظايا فأصابت يدى بجرح بليغ .. بيد أننا نجونا .. وكانت نجاتنا احدى المعجزات . نعم . اننا لم نكن قط أقرب الى الموت مما كنا فى تلك الليلة .

قالت ذلك ورسمت على صدرها علامة الصليب ثم استطردت :

ـ وقد اهتز المنزل من أساسه عندما انفجرت القنبلة . وتحطم زجاج النوافذ جميعا . ولكننا نجونا .

ـ لا شك أن فزع الآنسة ناتاشا كان عظيما .

ـ طبعا بيد أن ناتاشا لم تكن فى المنزل فى تلك الليلة فقد دعتها والدة بوريس مورازوف لتناول العشاء وقضاء الليل فى بيتها . ولكنها عندما عادت فى صباح اليوم التالى وعلمت بالخطر الذى استهدف له أبوها . ألقت بنفسها بين ساعدى الجنرال وهى ترتجف وأقسمت الا تبرح المنزل قط .

وعندما قص عليها أبوها ما فعلته احتضنتنى وقبلتنى ، وقالت لى انها ستحبنى كما لو كنت أمها .

وقد حاولنا فى الأيام التالية أن نكشف سر القنبلة الجهنمية وكيف وصلت الى غرفة الجنرال . ذلك لأن أحدا لم يدخل تلك الغرفة سواى وسوى ناتاشا وأصدقاء الجنرال الذين رأيتهم عندنا الليلة . أما الخدم فكان محظورا عليهم الصعود الى الطابق الأول . وقد وجدنا جميع النوافذ والأبواب مغلقة كالعادة . ولذلك كان من المدهش أن يتمكن انسان من الوصول الى غرفة زوجى دون أن يراه رجال البوليس الذين يحرسون المنزل ويبيتون فى احدى شرفاته .

وعلى اثر هذه المؤامرات المنكرة زيد عدد رجال البوليس الذين يحرسون المنزل الى عشرة ، خمسة لحراسة الحديقة والباب الخارجى وخمسة للسهر والمراقبة داخل المنزل .

واتفق ذات ليلة أننى كنت أطوف بغرف المنزل فى الظلام

فخرج أحد رجال البوليس من وراء أحد الأبواب فحسبته
الفوضويين وكدت أخنقه بيدى .

وعقب هذا الحادث تم الاتفاق بينى وبين كوبريان على أ
يقضى رجاله الليل فى شرفة المنزل ، بدلا من أن يكمنوا
داخله . وصدرت اليهم التعليمات لا يبرحوا الشرفة الا
سمعوا صوتا غريبا أو صوت استغاثة .

بيد أنه لم تنقض بعـــد ذلك عدة أيام حتى وقع حادث
(الأرض) وهو حادث غامض حيرنى وأثار فضـــو
كوبريان .

ـ ولكن هل كان رجال البوليس يصعدون الى الطـــابق
الأول ؟

ـ كلا لقد حظرت عليهم الصعود الى الطابق الأول بعـــ
حادث باقة الزهور .

ـ أرجو أن ترافقينى فى الحال الى غرفة الجنرال ؟

ـ الى غرفة الجنرال ؟! ولكنه نائم الآن .. فدعنى أقص
عليك كيف وقع حادث (الأرض) .

ـ أرجوك أن تذهبى بى فى الحال الى غرفة الجنرال .

قال ذلك وخرج من الغرفة مسرعا . فلم يسعها الا أن تصع
معه الى الطابق الأول ولما اقتربت به من الجناح الخاص بـ
وبزوجها . فتحت أحد الأبواب .. ووجد بوريل نفسه فى
مخدع أنيق تنبعث منه رائحة عطرية بديعة .

قالت :

ـ هذا مخدعى .

ثم اجتازت به دهليزا ، وفتحت باب غرفة الجنـــرال
ودخلت .

لم يتبعها بوريل على الأثر ، بل وقف لحظة امام الباب
وراح يتأمله بعين فاحصة .

ثم ألقى ببصره الى داخل الغرفة ، ولم يتمالك من الارتجاف .

راى الجنرال ممددا فى فراشه ، وقد ألقى المصباح على
وجهه المتقع شعاعا شاحبا أكسب تقاطيعه روعة ورهبة .

كان يتخيل للناظر اليه أنه امام جثة أحد جبابرة العصور
الوسطى .

كانت سحنة الجنرال متقلبة ، وقد ارتسم عليهـــا الألم
والعذاب بأجلى معانيهما .

اخذ يلتقط أنفاسه بصعوبة ، ويحول رأسه على الوسادة
ذات اليمين وذات اليسار ، غمغم وهو يلهث :

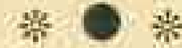
ـ وا أسفاه ، لقد هلكت شبيبة موسكو .

قال ذلك بصوت محزن يقبض القلب ، صوت انســـان
يندب شخصا عزيزا اخترمه الموت قبل الأوان .

كانت هذه العبارة ، وا أسفاه ، لقد هلكت شبيبة موسكو»

هى احدى العبارات التى ترنمت بها ناتاشا بعد العشاء وهى تعزف على البيانو ·

كانت احدى العبارات التى نظمها ميشيل كورساكوف فى رثاء شباب موسكو الذين هلكوا فى الثورة الأخيرة ··



حبس بوريل انفاسه ·· واصغى الى هذيان الجنرال ·

تمتم هذا الأخير : « أغلقت النوافذ والابواب · ولطخ الدماء الثلج الناصع الذى يغطى ارض الشارع ·· فيالها من مذبحة ·· يالها من مذبحة ·

· لقد هلكت شبيبة موسكو » ·

وهنا هتفت ماتريا بتروفنا :

ـ فيدور ·· فيدور

ففتح الجنرال عينيه · ورأى زوجته · وبدا عليه كأنه لم يعرفها ·

استمر يغمغم : « وا أسفاه لقد هلكت شبيبة موسكو »

فصاحت زوجته وهى تضع يدها على فمه :

ـ فيودور ·· فيودور ·

فنظر الجنرال حوله مرة أخرى ثم اعتدل فى فراشه وغمغم فى شئ من الاسف :

ـ هل كنت أهذى أيضا ؟

ثم تنهد واستطرد :

ـ قبح الله هذا المخدر ، لن أتناوله بعد الان · لن أقربه بعد الآن ·

ونظر الى المائدة ، حيث توجد الكأس التى كان يتناول منها جرعة كلما استيقظ أثناء الليل ·

أما بوريل ·· فانه ظل كامنا فى أحد أركان الغرفة · فلم يره الجنرال ·

لعن الفضول الذى ساقه الى تلك الغرفة · وجعله يرى ذلك المنظر ·

تمدد الجنرال فى فراشه مرة أخرى وأغمض عينيه · فجففت زوجته العرق المتصبب على جبينه · وسحبت عليه الأغطية · وخرجت من الغرفة · فوجدت بوريل قد سبقها

قالت فى همس :

ـ هل سمعت ؟ · انه كان يهذى بتلك العبارات المشئومة التى نظمها ميشيل · انها حفرت فى ذهنه · وانطبعت على لسانه ·· انها أقوال تكفير عن ذنب لم يقترفه · نعم · أنه لم يقترف ذنبا · ولم يفعل شيئا أكثر من أنه قام بواجبه نحو وطنه ، ونحو مولاه القيصر ·· بيد أن ··

وكفت ماتريا بتروفنا عن الكلام · ذلك لانها سمعت فجأة صوت وقع أقدام ·

كانت جميع النوافذ والأبواب مغلقة كما تركتها . فقصدت الى غرفة ناتاشا لكى أسالها عما اذا كانت قد سمعت صوت وقع الاقدام كما سمعته .

فتحت باب غرفتها . ودخلت . فوجدتها مستغرقة فى نوم عميق .

لم اشأ ان أزعجها وخطر لى زيادة فى الحيطة والحذر ان افتش الطابق الاول مرة أخرى .. فهبطت السلم . وبحثت فى جميع الغرف الى أن دخلت هذه الغرفة . وعندئذ لاحظت أن طرف السجادة ليس فى موضعه كما يجب .. وأن جانبا من السجادة قد تكدس تحت المقعد المتحرك الذى اعتاد الجنرال ان يجلس عليه . مما دلنى على ان المقعد رفع من مكانه .

داخلنى الشك .. وانتابتنى الوساوس . فنقلت المقعد من مكانه .. ورفعت طرف السجادة . ولم أر فى أول الأمر شيئا .

ولكننى عندما أمعنت النظر لاحظت أن أحد الألواح الخشبية التى تغطى أرض الغرفة بارز قليلا وأن بعض المسامير قد انتزعت منه حديثا . فتناولت سكينا وخطر لى أن أستعين بها لرفع اللوح الخشبى من مكانه ولكنى وجدت أنه يتعين على أن أنتزع عددا آخر من المسامير ..!

فكرت فى الأمر مليا .. وسألت نفسى .. ترى هل هذه

مؤامرة جديدة من طراز جديد ؟

وبعد طول التفكير . وجدت أن أفضل ما أستطيع أن أفعله .. هو أن أترك كل شىء فى موضعه . وأرسل فى طلب كوبريان ..

وهنا قاطعها بوريل :

ـ ألم تحدثى أحدا بأمر هذا الاكتشاف ؟

ـ كلا .

ـ ولا الآنسة ناتاشا ؟

ـ ولا الآنسة ناتاشا .

ـ لماذا ؟

فترددت ماترينا لحظة ثم أجابت :

ـ لم أتحدث الى ناتاشا أو الى زوجى عن هذا الاكتشاف حتى لا يزداد قلقهما .

ـ وماذا قال كوبريان ؟

ـ انه فحص الأرض معى . ودس يده بمهارة تحت اللوح الخشبى .. فوجد فجوة صغيرة لا تتسع لوضع قنبلة من النوع الذى يستعمله الفوضويون . على أنها كانت قابلة للاتساع . فقال لى كوبريان . انك فاجأت الشخص الذى يحفر هذه الفجوة . وكانت المفاجأة فى الوقت المناسب . وهذا الاكتشاف من شأنه أن يجعل لنا السيطرة على الموقف . لأن الشخص الذى يدبر هذه المكيدة الجديدة لا يعلم بأننا كشفنا

أمره . فتظاهرى بانك لم تلاحظى شيئا ، ولا تتحدثى عن هذا الاكتشاف الى كائن من كان ودعى زوجك يجلس فى مقعده فى هذا الركن كالمعتاد كأن شيئا لم يحدث . هذه هى افضل طريقة لعدم ازعاج الشقى الذى يدبر هذه المؤامرة الجديدة .

ومنذ ذلك الوقت وأنا ارقب تقدم العمل فى أرض غرفة الطعام .

وقد حدث بعد ثلاثة أيام من ذلك الاكتشاف اننى كنت فى غرفة الجنرال . فحفزنى دافع خفى الى تفقد اللوح الخشبى فى غرفة الطعام . فاسرعت الى تلك الغرفة ورفعت طرف السجادة . وعندئذ وجدت ثلاثة مسامير جديدة قد رفعت من اللوح الخشبى فدسست يدى تحت اللوح .. ووجدت الفجوة لا تزال خالية ولا يوجد بها شىء .

وهنا كفت ماترينا عن الكلام .. فسألها بوريل :

– وماذا حدث بعد ذلك ؟

– حدث بعد ذلك أننى أعدت طرف السجادة والمقعد الى موضعهما وذهبت أستجوب رجال البوليس الذين كانوا فى حراسة المنزل . فقالوا جميعا بلهجة التأكيد أنهم لم يروا أحدا يدخل المنزل أو يخرج منه خلال الأيام الثلاثة الأخيرة .

وارتسمت على وجه المرأة علامات الانزعاج . فسألها بوريل :

– أريد أن تحددى وجهة نظرك يا سيدتى . مادام لم

يدخل المنزل أو يخرج منه أحد خلال الأيام الثلاثة التى استأنف فيها الشخص المجهول عمله فى رفع اللوح الخشبى . فمعنى ذلك أن أحد أهل المنزل هو الذى انتزع المسامير الثلاثة الأخيرة .

فهزت ماترينا رأسها وقالت :

– لك أن تفهم من كلامى ما شئت .

– لقد فهمت من كلامك أنه لم يكن فى مقدور أحد أن يدخل غرفة الطعام سواك والآنسة ناتاشا .

فاطرقت برأسها وقالت بصوت حزين :

– ان هناك بعض أمور لا أريد أن أفكر فيها .. ومتى عاتقتنى ناتاشا استنكرت التفكير فى تلك الأمور .

ان مسألة اللوح الخشبى محوطة بالغموض . وقد أكد لى كوبريان أنه يثق برجال البوليس الذين اختارهم لحراسة المنزل . ولكن عزائى الوحيد هو أن ثقته بأولئك الرجال أقل من ثقتى بناتاشا .

قالت ذلك وجففت دمعتين كبيرتين انحدرتا على وجنتيها .

الفصل الرابع ـ خطة بوريل

انقضت تلك الليلة بسلام . فلما بزغت شمس اليوم التا[لي] كانت تبدو على وجه بوريل وماترينا بتروفنا علامات التع[ب] والاعياء .

وقد اجتمعا لاول مرة فى ذلك النهار حول مائدة الافطا[ر] حيث كانت ناتاشا قد سبقتهما .

حيتهما ناتاشا بابتسامة .. واستفسرت من بوريل عن صحته ، ثم قالت على الأثر :

ـ يخيل الى أن كوبريان قد سحب رجاله من هذا المنز[ل] نهائيا .. فانني لم أر لهم أثرا اليوم .. ولكنني فى الح[ق] اشعر بالارتياح الى انصرافهم .. لانني أعتقد أنهم هم الذين دبروا حادث قنبلة باقة الزهر .

فقال بوريل :

ـ أنا الذى ابعدتهم جميعا عن هذا المنزل يا آنسة .. لأنني أرى فيهم مثل رأيك .

فهتفت ناتاشا :

ـ احقا تقول ؟ اذن دعني أطرى مهارتك وبعد نظرك .. سوف تكون أصدقاء يا سيدى العزيز مادمت تشاطرني رأيي فى هذا الصدد .

ثم تحولت الى ماترينا واستطردت .

ـ أؤكد لك أن فى استطاعتك الآن أن تنامى مطمئنة .. مادام أولئك الاشقياء قد غادروا المنزل .

فأجابت ماترينا :

ـ نعم .. سأنام بعد الآن مطمئنة ناعمة البال .. قبليني ياناتاشا .. انني أنسى كل شيء حينما تقبلينني .. هـل تحبينني كما لو كنت أمك ؟

ـ نعم .. احبك كما لو كنت أمي .

ـ الا تخفين عني شيئا البتة ياناتاشا ؟

ـ كلا .. لن أخفى عنك شيئا البتة .

ـ اذن لماذا تعبثين بقلب بوريس .. وترفضين الاقتران به

ـ لانني لا أريد أن أبتعد عنك يا أمي العزيزة .

وقبلت ماترينا .. وانطلقت من الغرفة وهى تعدو فى خفة ورشاقة .

وهنا هزت ماترينا رأسها وقالت :

ـ انها فتاة عزيزة .. ولكنها لا تعلم كم تؤلمنا تصرفاتها وآراؤها فى بعض الأحيان .

لقد قال زوجي مرة « انك لا تعرفين ياماترينا كم أنا مشفق على ناتاشا .. ان هذه البنية العزيزة توشك أن تذهب ضحية الآراء المتطرفة والافكار الثورية التى تقع عليهـا فى بعض الكتب الحديثة . نعم .. كان من الأفضل لها ولنا لو أنها لم تتعلم القراءة .. انها تعبر فى بعض الأحيان عن آراء جديدة

بأولئك الفتيات السافرات اللائى رأيت منهن كثيرات وراء المتاريس التى أقامها الفوضويون فى شوارع موسكو »

هذا وزوجى يعتبر بوريس مسئولا ضمنا عن الآراء والأفكار التى تعبر عنها ناتاشا فى كثير من الأحيان .

فسألها بوريل :

لقد سمعت بوريس يسأل ميشيل عما اذا كان فى نيته أن يذهب معه الى المدينة قبل يقطن الاثنان بيتا واحدا ؟

ــ نعم . انهما يقطنان منزلا بعيدا يشرف على هذا المنزل وقد عرضنا على زوجى أولا ان يقيما خيمة فى الحديقة ليكونا بمقربة منا دائما ولكنى رفضت لكى أبعدهما عن ناتاشا .

وكفت ماتريتا عن الكلام لانها أبصرت بناتاشا تطل عليهما من النافذة التى تشرف على الحديقة .

كانت تبدو على الفتاة علامات الغبطة والارتياح .. وقد لمعت عيناها وتوردت وجنتاها .

قالت تحدث ماتريتا :

ــ انى لم أشعر فى حياتى بلذة الحرية كما أشعر بها الآن . لقد كنا مع وجود رجال البوليس فى المنزل والحديقة أشبه بالسجناء .. أوآه .. كم أود أن أرى وجه كوبريان عندما ينبئه رجاله بأنك طردتهم من المنزل .

فقال لها بوريل :

ــ اذا رأيت كوبريان فلا تذكرى له أن والدك سيخرج

للنزهة بعد ظهر اليوم ، والا أرسل الينا فرقة كاملة من رجال البوليس .

فهتفت ناتاشا :

ــ أبى يخرج للنزهة اليوم ؟ أحقا تقول ؟ يا الله .. سوف يسر أبى متى علم بذلك .

وهنا نهضت ماتريتا عن مقعدها فى جزع وقالت تحدث بوريل .

ــ هل جننت يا سيدى .. هل جننت .. كيف .

فقاطعتها ناتاشا :

ــ لماذا يا أماه ؟ سأنطلق فى الحال لانبىء أبى .

فقالت ماتريتا بصوت خشن :

ــ ان باب غرفته مغلق .

ــ نعم .. والمفتاح معك .. أنت تسجنينه حتى يموت .. أنت تقتلينه .. نعم .. أنت قاتلته ...

وغاب وجهها من النافذة .. وبعد لحظة .. سمع بوريل وقع خطواتها وهى تصعد السلم .

وهنا حملقت ماتريتا فى وجه بوريل الذى ظل يتناول طعامه فى هدوء . وهتفت :

ــ هل أنت جاد فيما تقول يا سيدى ؟ أيخرج زوجى للنزهة .. دون حراسة البوليس ؟ هل نسيت أن الثوار يترصدونه ؟ .. هل نسيت أننا تسلمنا اليوم بالذات رسالة

يهدده فيها الفوضويون بالقتل قبل انقضاء ثمان وأربعـ
ساعة .

فقال بوريل وهو يرفع قدح القهوة الى شفتيه :

ـ ٤٨ ساعة ! ٤٨ ساعة ! ان ذلك فى استطاعتهم حقا ومهما يكن من أمر فاننى أعلم بأنهم سيقومون باحـــ المحاولات قريبا جدا .

فذعرت ماترينا وقالت :

وكيف علمت بذلك ؟ انك تتكلم بلهجة التأكيد .

ـ اصغى الى يا سيدتى .. يجب أن تنفذى تعليمـــاتى حرفيا .

ـ ولكن كيف تريد أن أسمح بخروج الجنرال بلا حراسة وكيف تحمل نفسك تبعات هذا العمل الأحمق ومسئولياته يا الهى .. اننى مازلت ارتجف كلما فكرت فى جلاء رجال البوليس ، وخلو المنزل من الحراس .. كلا .. كلا . انـ وافقت على انصراف رجال البوليس لانك هنا ولان أورميلوف يستطيع أن يرقب باب المنزل ، ويفحص كل حزمة وكل علبة يؤتى بها الى المنزل .

نحن نشعر هنا ببعض الطمأنينة .. أما فى الخارج ..

فقاطعها بوريل :

ـ أصغى الى يا سيدتى .. انهم سيحاولون قتل زوجك قبل انقضاء ٤٨ ساعة .. فهل تريدين أن أنقذه ؟ .

فحولت ماترينا رأسها وهتفت :

ـ يا الهى .. ما أعظم ثقة هذا الرجل بنفسه ؟ ولكن ماذا يقول كوبريان الذى حظر علينا مثل هـــذه النزهـــة التى تقترحها ؟ نعم .. ماذا يقول ؟

فلم يعبأ بوريل باحتجاجها وقال :

ـ سيخرج الجنرال وسنخرج معه للنزهة بعد ظهر اليوم . وليأت معنا من أصدقاء الجنرال من يشاء . وليتخلف من يشاء هل فهمت ؟ لماذا ترتجفين ؟

ـ ولكن من ذا الذى سيقوم بحراسة المنزل ؟

ـ اورميلوف .. فى استطاعته أن يبقى فى المنزل لمراقبة الباب دون أن يراه أحد .

ـ حسنا .. سأنزل .. على ارادتك .. ولكن هل يجب أن نعلن سلفا نبأ هذه النزهة ؟

ـ طبعا ، أعلنى هذا النبأ وأنت مطمئنة .

ـ سأعلنه للجنرال وأصدقائه فقط .

ـ على رسلك ، وبهذه المناسبة ، أرجو ألا تنتظرونى وقت الغـــداء .

فهتفت ماترينا وهى تلهث :

ـ ماذا ؟ هل فى نيتك أن تبرح المنزل ؟ كلا . كلا . اننى أستطيع البقاء هنا بدون رجال البوليس ، ولكنى لا أستطيع ذلك بدونك .

قد يقع لى حادث أثناء غيابك .

- لا تخافى يا سيدتى . سوف أكون على مقربة منك ولكنى لن اتناول طعام الغداء معكم . واذا سأل عنى سائل فقولى ان القيصر دعانى لمقابلته .

- لن يصدقنى أحد اذا قلت ذلك ، ولكن أين ستكون

- لا أعلم ، ولكنى سأكون فى المنزل على كل حال .



وبعد ساعتين ، وفد على المنزل كل من بوريس مورازوف .. وميشيل كورساكوف .. وايفان بتروفتش .. فدعاهم الجنرال جميعا لتناول طعام الغداء على مائدته .

وحول الساعة الرابعة وهو الموعد الذى حدده بوريـــل للنزهة ، نقل الجنرال الى العربة الصغيرة المتحركة التـــى صنعت له بعد اصابة ساقه ، ووقفت ماترينا خلف العـــربة لكى تدفعها أمامها . ولحقت بها ناتاشا وايفـــان بتروفتش والضابطان .

وفجأة .. ظهرت على وجه ماترينا علامات القلق والتردد . ولكنها ما لبثت ان اطمأنت وابتسمت حين رأت بوريل يظهر أمامها بغتة .

تبادلا نظرة ذات معنى .. فدفعت ماترينا عربة زوجهـــا أمامها ، وسار المستشار وناتاشا بجوار عربة الجنرال وتخلف بوريل وبوريس وميشيل .

وأخذ هذا الركب الصغير يتقدم فى هـــدوء .. وراح بوريس وميشيل يقطعان الوقت فى الحديث ، وكان حديثهما يدور حول اخلاص ماترينا بتروفنا لزوجها .. وحب ناتاشا لأبيها .. وقد استطاع بوريل بلباقته أن يستـــدرجهما الى ذكر بعض حقائق كان يجهلها .

وقد تكلم بوريس مورازوف عن سر الحب العظيم المتبادل بين ناتاشا وأبيها .. فقال ان والدة ناتاشا توفيت بعد أن وضعتها ، فقام الجنرال حيال طفلته بدور الأب والأم معا .

ولما بلغت ناتاشا السابعة من عمرها .. عـــين الجنرال حاكما لولاية (أوريل) .. وهناك تعرف الجنرال على أسرة بيير بتروف وهو من أغنى تجار الفراء فى روسيا .

وكانت لبتروف هذا ابنة جميلة كالزهرة هى ماترينا .. وقد توثقت أواصر الحب بين ماترينا وناتاشا . فلمـــا رأى الجنرال ارتياح طفلته الى صحبة ماترينا قرر الاقتران بهـذه الأخيرة .. فخطبها الى أبيها . ووافق بتروف الشـــيخ بلا تردد .

ولكن حدث قبل الزواج حادث محزن .. اذ خسر بتروف كل ثروته فى المضاربات .. فقصدت ماترينا الى بيت الجنرال ذات مساء . وأنبأته بهذه النكبة وطلبت اليه فسخ الخطبة .. لأن مركز أسرتها الحالى لم يعد يتناسب مع مركزه .. وهو حاكم المقاطعة ومن أغنى أغنياء روسيا .

وكان جواب الجنرال أنه حمل ابنته « ناتاشا » ووضـ
بين ساعدى ماتريا وقال للطفلة « قبلى أمك الجديدة » .
قال لماتريا « انني أعتبرك زوجتي يا ماتريا بتروفنـ
فافهمي أباك ذلك . وقولى له ان كل ثروتي تحت تصرفـ
ورهن اشارته » .

وكان الجنرال يملك ثروة عظيمة ، ومزارع هائلة فى
« بيجتى » ورثها عن أبيه . غير أن بتروف العجوز وافق
الزواج ورفض رفضا باتا أن يستعين بأموال الجنرال . كـ
رفضت ماتريا أن تقبل من الجنرال أية بائنة (دوطة) وقـ
له « هذه أموال ناتاشا .. وقد قبلت أن أكون أما لها
ولكنى لا أقبل فلسا واحدا من ثروتها » .

وختم بوريس حديثه بقوله :

ـ وهكذا .. اذا توفى الجنرال غدا .. فان ماتريـ
تصبح صفر اليدين .

فقال بوريل :

ـ ومعنى هذا أن الجنرال هو كل ثروة ماتريا .

فقال ميشيل وهو يشعل لفافة تبغ :

ـ وهذا هو السبب فى حرصها على حياته .. انظر الـ
.. انها تسهر عليه .. كما لو كان كنزا ..

فقال بوريس بصوت أجش :

ـ ماذا تعنى يا ميشيل ؟ هل تريد أن تقول ان ماتـ

لا تخلص لزوجها الا بدافع الانانية ؟ أنت اذن لا تفهمها ..
ولا تعرفها ..

ـ انا لم اقل ذلك يا بوريس .. انك تنسب الى معنى
لم اقصد اليه .. وفى ذلك ما فيه من التنكر لأبسط تقاليد
اللياقة .

ـ حسنا .. سوف نتحدث فى ذلك فيما بعد .

ـ على رسلك ..

وقد تبادل الضابطان هذه العبارات وهما يدخنان فى
هدوء .. وكان بوريل يسير بينهما فلم ينظر اليهما ولم
يلق بالا الى هذا الخلاف الذى شجر بينهما .. بل كان اهتمامه
منصرفا الى ناتاشا التى تخلفت عن أبيها .. وحيت الضابطين
باحناء رأسها . وهمت بالعودة الى المنزل .

سألها بوريس : الى أين أنت ذاهبة ؟

فأجابت : سألحق بكم بعد لحظة . لقد نسيت مظلتى .

فقال ميشيل : دعينى أذهب لاحضارها .

فأجابت :

ـ كلا . كلا . يجب أن أذهب بنفسى لأغراض أخرى .

وابتعدت ..

وهنا تبادلت ماتريا وبوريل نظرة ذات معنى .. ولاحظ
بوريل أن وجهها قد امتقع فجأة .

واستأنف الموكب سيره . فقال بوريل محدثا بوريس
– هل كانت زوجة الجنرال الاولى .. اعنى والدة نا[تاشا]
.. على شيء من الغنى ؟ .

فاجاب بوريس :
– كلا . ولكنها كانت على جانب عظيم من الجمال .
وقد اقترن بها الجنرال لجمالها : بيد أنها تنتمي الى ا[...]
من أعرق الاسر في القوقاز .. وقد عرفها الجنرال وهـ[و]
لا يزال ضابطا صغيرا في (تفليس) .

فقال بوريل في لهجة المفكر .
– صفوة القول .. أنه متى توفي الجنرال .. فـ[...]
زوجته التي تملك الان كل شيء ... تصبح بلا شيء ..
وابنته التي لا تملك الان شيئا ... تصبح صاحبة كل شيء

فاجاب ميتشيل : نعم .
وقال بوريس :
– ولكن هذا لا يمنع ماتريدا بتروفنا وناتاشا من أن تحـ[ب]
كل منهما الاخرى حبا عظيما ..

وواصل الموكب سيره : والجنرال والمستشـــار يتبادلا[ن]
النكات ويسرد كل منهما على الآخر بعض ذكرياته الطريفة
المضحكة .

وفجأة سمع بوريل وراءه وقع اقدام تقترب بسرعـــة
فنظر خلفه . ورأى كوبريان يسرع الخطى وهو يلهث .

كان كوبريان رجلا طويل القامة مفتول الساعدين ، يتم
مظهره عن القوة وقد كان محبوبا في العاصمة لظرفه النبيل
وشجاعته .. ولان اسلوبه في العمل كان يختلف عن أساليب
(جونسوفسكي) رئيس البوليس السرى الذى اشتهر بمكائده
ومؤامراته .. وشاع عنه انه الذى دبر حادث مصرع رئيس
الوزراء السابق في محطة (بيتر هوف) .

كانت تبدو على كوبريان في ذلك اليوم علامات الضجـــر
والانفعال فشد على يد الجنرال تريباسوف .. وشجعه على
جرأته .. ثم قصد توا الى بوريل .. وانتحى به ناحيـــة
وقال له :
– انك طردت رجالي من منزل الجنرال تريباســـوف رغم
علمك بأنني لم اسمح قط بذلك .. ورجالي في اشد حالات
الغضب لان عملك قد أثار الريبة حول أمانتهم ويقظتهم .

يجب ان تعلم أن رجالي من طراز آخر غير طراز رجـــال
(جونسوفسكي) وان في معاملتهم على هذا النحو خدشـــا
لشعورهم .

ولكن لنترك مسألة الشعور جانبا ولنتحدث في عملك
ذاته .. فانت قد برهنت على طيش غير محمود العاقبة .
واسأت استعمال التصريح الذى أعطيتك إياه بأمر القيصر .
وقد تحدثت الى جلالة القيصر في هذا فابدى دهشته .وأمرني
بان اذهب بنفسي الى منزل الجنرال .وبان أعيد الحراس اليه
.. ولشد ما كانت دهشتي حين وجدت باب المنزل مفتوحا

كأنه طاحونة خربة يستطيع كل انسان أن يدخلها . ثم كانت
دهشتى لا حد لها حين أنبأنى أورميلوف بانك خرجت
الجنرال للنزهة .

انك تعرض الجنرال للخطر . وتضع حياته تحت رحمة
عابر سبيل . فاصغ الى يا مسيو بوريل . اننى غير راض
عملك ، والقيصر غير راض . وبعد ساعة على الأكثر سأرسل
رجالى الى منزل الجنرال لحراسته .

أصغى بوريل الى حديث كوبريان حتى النهاية ..

لم يكن قد تعود سماع مثل هذه اللهجة ، ولكنه كظم غيظه
وقال فى هدوء :

ـ حسنا .. وأنا سأرحل بقطار المساء .

ـ ترحل ؟!

ـ نعم .. وعليك أن تحرس الجنرال بنفسك .. انك غير
راض والقيصر غير راض .. وذلك مما يدعو الى الأسف ..
بيد أننى أيضا غير راض .. ولم يبق لى الا أن أقرئك السلام
وأرحل ، فقط أرجوك ألا تنسى بعد ثلاثة أيام أو أربعة على
الأكثر أن تبعث الى برسالة تحدثنى فيها عن صحة الجنرال
لكى أصلى من أجله ، وأطلب الى الله أن يلهم ذويه الصبر
والسلوان .

وصمت .. اذ التقت عيناه فى تلك اللحظة بعينى ماتريتا

بتروفنا ورأى فى نظراتها من دلائل الحزن واليأس ما أشعره
بالشفقة عليها .

لم تعد ناتاشا فترى ماذا كانت الفتاة تعمل فى تلك
اللحظة ؟

وتكلم كوبريان .. ولكن بوريل كان فى شغل عن الاصغاء
اليه بالتفكير فى موقف ماتريتا بتروفنا .

كانت تلك المرأة الباسلة ترتاب فى ناتاشا وتحبها فى
ذات الوقت ولا شك أنها كانت تعانى من هذا الحب المقترن
بالريبة ألما نفسانيا عميقا .

هتف كوبريان محدثا بوريل :

ـ ألا تسمعنى ؟ ألا تصغى الى ؟ اننى أعتذر لك عن اللهجة
التى تحدثت بها اليك وأسألك الصفح .. وأرجوك أن توضح
لى سر تصرفك . انى واثق أن لديك من الأسباب ما يبرر هذه
التصرفات فما هى هذه الأسباب ؟ يجب أن أعرفها لأذكرها
للقيصر .

أجبنى .. ماذا يجب أن أقول للقيصر ؟

فأجاب بوريل :

ـ لا تقل له شيئا .. ليس عندى ما أقوله لك أو للقيصر
أو لأى انسان .

اذهب الى القيصر ، وأبلغه تحيتى واحترامى ، وأشر على

جواز سفرى لكى ارحل الليلة .

ثم تنهد واستطرد .

ـ ذلك مما يؤسف له حقا . فقد دخلت القضية فى ... وامتع أطوارها .

فنظر اليه كوبريان .. ورآه لا يحول بصره عن مانو... بتروفنا فنظر بدوره الى هذه الاخيرة ، وحاله امتق... وجهها .

استطرد بوريل :

ـ يوجد شخص واحد معروف يأسف على رحيلى .. و... هذه السيدة البائسة التى وضعت فى ثقتها .. اطلب ال... ان تحول بينى وبين جميع رجالك . ولكن دعنا من هذا الا... كل ما ارجوه هو الا تنسى ان تقدم الى السيدة فى الوق... المناسب عزائى الخالص .

وهنا ظهرت على وجه كوبريان علامات الانزعاج .. فسأل... وقال هل تظن اذن أن هناك خطرا عاجلا يتهدد حيـ... الجنرال ؟

فأجاب بوريل :

ـ اننى لا اظن .. ولكن واثق .. ان مصرعه قريب ول... يبق له فى الحياة الا ساعات معدودات ، ولكنى ســوف... لا انسى قبل رحيلى أن أعينه لانتظار الموت ، وأن أطلب اليه...

ان يستغفر الله عما أتى من ضروب البطش والقسوة .

ـ يا مسيو بوريل .. هل أفهم من كلامك أنك اكتشفت شيئا ؟

ـ نعم يا مسيو كوبريان .. اننى اكتشفت شيئا .. بل أشياء والا هل تعتقد أننى اجتزت أوروبا كلها من فرنسا الى روسيا لكى أضيع وقتى سدى ؟

ـ هل اكتشفت شيئا لا يعلم به أحد ؟

ـ نعم يا مسيو كوبريان .. اننى اكتشفت شيئا لم أذكره لأحد ولم أسجله فى دفتر مذكراتى . لأن الدفتر قد يفقد او يسرق كما تعلم .. أليس كذلك ؟ اننى اقول لك هـذا حتى لا تضيع رجالك وقتهم عبثا بتفتيشى عند رحيلى .
ـ هل تظننى يا مسيو بوريل ؟

ـ ذلك هو شأن رجال البوليس فى كل زمان ومكان . فانهم متى وجدوا انسانا يعلم عن احدى القضايا الهامة اكثر مما يعلمون لا يترددون فى اعتقاله ، وارهاقه بشتى الأساليب والوسائل للوقوف على معلوماته . بيد أن هذه الأســاليب لا تجدى معى نفعا .. فاننى لن اتكلم ولن أبوح بشىء حتى ولو استجوبونى بالسياط .

فقطب كوبريان حاجبيه وقال :

ـ انك تتحدث الى رجل شريف يا مسيو بوريل .

- الآن لدى عملا آخر . أعطينى مفاتيح الطابق الأول .

- ولكن .. لماذا ؟

- أسرعى .. ان الوقت لا يتسع للجدل .

واختطف منها حزمة المفاتيح اختطافا . وصعد السلم وثبا .. ولما وصل الى الطابق الأول فتح غرفة ماتريونابتروفنا ونفذ منها الى الرواق . وفتح غرفة الجنرال وألقى عليها نظرة سريعة . ثم أغلقها . وهبط السلم وهو يردد كلمة « حسن جدا » بالروسية . وهى الكلمة الروسية الوحيدة التى تعلمها حتى ذلك الوقت .

وقضى بوريل بقية الوقت فى حديقة الجنرال الى أن لحقت به ماتريونا بتروفنا بعد أن نقل الجنرال الى غرفته .

وقالت له وهى تلقى بيدها على كتفه :

- أيها الشيطان . لماذا لم تفحص أرض غرفة الطعام بنفسك ؟

فأجاب : اننى رأيت وجهك فعرفت النتيجة .

- نعم . ان اللوح الخشبى على حاله . ولم تحدث أية محاولة جديدة من جانب أولئك الذين يتشممون أرض الغرفة تحت مقعد الجنرال .. آه . يا الهى .. لشد ما كان انزعاجى عندما غادرتنا ناتاشا وعادت أدراجها الى المنزل !!

لقد شعرت وقتئذ بدوار .. وخيل الى أننى لن أستطيع السير .



الفصل الخامس - اليد الخفية

ما كادت ماتريونا تصعد الى غرفة زوجها حتى خرج بوريل الى حديقة المنزل وأجال الطرف فى أنحائها باحثا عن الضابطين ولكنه لم يجد لهما أثرا .

بيد انه تبين فى أرض الحديقة آثار أقدامهما فأخذ يتعقب هذه الآثار حتى خرج من المنزل . وعرج شطر الغابة المترامية الواقعة على بعد مائتى متر من بيت الجنرال .

ادهشه أن يرى آثار الأقدام متجهة نحو الغابة عوضا عن أن تتجه نحو المدينة .

وكان الليل قد أرخى سدوله فأسرع بوريل الخطى حتى وجد نفسه بين الأشجار المتعانقة والأغصان المتشابكة .

أصاخ السمع جيدا .. ولم يسمع فى أول الأمر شيئا ، ولكنه لم يكد يتقدم بضع خطوات أخرى حتى طرق أذنيه صوت همس . رفع رأسه ، ورأى شبحين استطاع بفضل قوة ابصاره أن يعرفهما .

عرف فيهما ناتاشا والضابط بوريس .

اقترب خطوة وتوارى خلف الأشجار ، وأرهف أذنيه . سمع جدلا عنيفا بين الضابط والفتاة . ولكنه لم يتبين كلمة واحدة ولم يفهم شيئا لأنهما كانا يتحدثان باللغة الروسية .

كان صوت الضابط ووقفته يدلان على الكبرياء والترفع .

كان منتصب القامة ، ويداه معقودتان فوق صدره كمن يتحدى محدثه ، ولا يريد النزول الى مستواه .

تكلمت ناتاشا ، وتكلمت بصوت حاد أخذ يخفت بالتدريج حتى تبين فيه بوريل لهجة الاستعطاف ، وأخيرا نطقت الفتاة ببضع عبارات باللغة الفرنسية ، كأنها خشيت فجأة أن يسمع حديثها أحد .

وصمت بوريس طويلا كأنه يفكر ، ثم أجاب بصـــــوت واضح النبرات :

- انك تطلبين الى امرا مخيفا .

فقالت الفتاة بلهجة حازمة :

- ويجب ان تنزل على ارادتى . هل سمعت يابوريس ؟ يجب ..

وجولت رأسها ذات اليمين وذات اليسار . ثم ألقت بيدها على كتف الشاب وقالت بصوت رقيق :

- هل سمعت يا عزيزى بوريس ؟

والظاهر أن الفتى لم يستطع المقاومة أكثر من ذلك فاطرق برأسه فى خضوع . وتناول اليد التى وضعت على كتفه وقبلها باحترام .

قالت ناتاشا بذلك الصوت العذب الساحر .

- اذن الى اللقاء هذا المساء .. نعم .. هذا المساء .

واجتذبت يدها من بين يديه .. وأشارت اليه أن يذهب فى سبيله .

وهنا أدرك بوريل أن المقابلة قد انتهت ، فتسلل من الغابة وعاد أدراجه الى المنزل مسرعا حتى لا تراه ناتاشا أو صاحبها .

ولم يكد يدخل حتى وجد ماترينا تترقب عودته بعد أن أغلقت باب غرفة زوجها .

سألها : ألا يوجد بالمنزل أحد ؟

- كلا .. وناتاشا لم تعد .

- انها ستعود فى التو واللحظة فعليك أن تسأليها أين كانت وهل قابلت الضابطين ، فاذا قالت انها قابلتهما فسليها هل يعودان الى المنزل الليلة .

فبغتت ماترينا كأنها تذكرت أمرا :

- الواقع أن الضابطين اختفيا .. ولا أعلم كيف ..

- وبهذه المناســـــبة اريد أن أرى جميع الدبابيس التى تستعملها الآنسة ناتاشا لتثبيت قبعتها على رأسها .

فظهرت علامات الدهشة على وجه ماترينا . ولكن بوريل صاح بها :

- اسرعى قبل أن تعود ناتاشا .

فغابت ماترينا لحظة . ثم عادت وبين يديها ثلاثة دبابيس طويلة .. فتناول بوريل الدبابيس وفحصها ثم سأل :

- أهذه كل ما هنالك ؟

- هذه كل ما وجدت .. ولكنى أعلم أن ناتاشـــــا تملك دبوسين آخرين . وربما كانا فى القبعة التى ترتديها الآن .

كان منتصب القامة ، ويداه معقودتان فوق صدره كمن يتحدى محدثه ، ولا يريد النزول الى مستواه .

تكلمت ناتاشا ، وتكلمت بصوت حاد أخذ يخفت بالتدريج حتى تبين فيه بوريل لهجة الاستعطاف ، واخيرا نطقت الفتاة ببضع عبارات باللغة الفرنسية ، كأنما خشيت فجأة أن يسمع حديثها أحد .

وصمت بوريس طويلا كأنه يفكر ، ثم أجاب بصوت واضح النبرات :

- انك تطلبين الى أمرا مخيفا .

فقالت الفتاة بلهجة حازمة :

- ويجب أن تنزل على ارادتي . هل سمعت يابوريس ؟ يجب ..

وحولت رأسها ذات اليمين وذات اليسار . ثم ألقت بيدها على كتف الشاب وقالت بصوت رقيق :

- هل سمعت يا عزيزي بوريس ؟

والظاهر أن الفتى لم يستطع المقاومة أكثر من ذلك فاطرق برأسه في خضوع . وتناول اليد التي وضعت على كتفه وقبلها باحترام .

قالت ناتاشا بذلك الصوت العذب الساحر .

- الى اللقاء هذا المساء .. نعم .. هذا المساء .

واجتذبت يدها من بين يديه .. وأشارت اليه أن يذهب في سبيله .

وعندما أدرك بوريل أن المقابلة قد انتهت ، فتسلل من الغابة وعاد أدراجه الى المنزل مسرعا حتى لا تراه ناتاشا أو صاحبها . ولم يكد يدخل حتى وجد ماتريتا تترقب عودته بعد أن أغلقت باب غرفة زوجها .

فسألها : ألا يوجد بالمنزل أحد ؟

- كلا .. وناتاشا لم تعد .

- انها ستعود في التو واللحظة فعليك أن تسأليها أين كانت وهل قابلت الضابطين ، فاذا قالت انها قابلتهما فسليها متى يعودان الى المنزل الليلة .

فوقفت ماتريتا كأنها تذكرت أمرا :

- الواقع أن الضابطين اختفيا .. ولا أعلم كيف ..

- وبهذه المناسبة اريد أن أرى جميع الدبابيس التي تستعملها الآنسة ناتاشا لتثبيت قبعتها على رأسها .

فظهرت علامات الدهشة على وجه ماتريتا . ولكن بوريل صاح بها :

- اسرعي قبل أن تعود ناتاشا .

فغابت ماتريتا لحظة . ثم عادت وبين يديها ثلاثة دبابيس طويلة .. فتناول بوريل الدبابيس وفحصها ثم سأل :

- أهذه كل ما هنالك ؟

- هذه كل ما وجدت .. ولكني أعلم أن ناتاشا تملك دبوسين آخرين . ربما كانا في القبعة التي ترتديها الآن .

ـ حسنا أعيدي هذه الدبابيس الى موضعها .
فاطاعت دون أن تفهم غرضه . ولما عادت سألها :
ـ وأين دبابيسك ؟
ـ انني لا أملك غير هذين الدبوسين .

ومدت يدها الى مقعد كانت قد ألقت عليه قبعتها عند عودتها من النزهة . واجتذبت من القبعة دبوسين قدمتهما الى بوريل . ففحصهما ثم ردهما اليها بسرعة . وقال :
ـ هذا حسن . ها هي الآنسة ناتاشا .

ودخلت ناتاشا وهي باسمة الثغر لامعة العينين .

وهتفت وهي تخلع قبعتها :
ـ يا الله .. لقد بحثت عنكم كثيرا فلم أجدكم .. ولعل السبب أنني أردت أن أصل [illegible] من أقرب طريق فضللت السبيل اليكم .. هل استراح [illegible] الى هذه النزهة ؟

فاجابت ماتريتا :
ـ نعم . وهو الآن في فراشه . هل قابلت بوريس وميشيل ؟

فترددت ناتاشا لحظة . لحظة قصيرة جدا . واجابت الأثر :
ـ نعم . قابلتهما منذ برهة .
ـ هل قالا لك ان في نيتهما العودة هذا المساء ؟
ـ كلا . ولكن لماذا هذه الاسئلة ؟

واحمر وجهها قليلا .

فاجابت ماتريتا :
ـ ذلك أنهما رحلا دون أن ينبئانا .. بل دون أن يقولا وداعا .
ـ هذا غريب حقا .

وقد لزم بوريل الصمت أثناء هذا الحديث . ولكنه لم يحول عينيه طول الوقت عن قبعة ناتاشا .



انصرفت ناتاشا الى غرفتها . وقصد بوريل الى الغرفة التي اعدتها له ماتريتا بتروفنا بالقرب من الجناح الخاص بزوجها

وبعد أن ألقت ماتريتا [illegible] على غرفة زوجها تفقدت المغالق والابواب واحكمت اغلاقها . وعندما همت بدخول غرفتها رأت باب بوريل يفتح . وأبصرت برأسه مطلا منها .

وقال لها بصوت خافت :
ـ لقد لاحظت أنك أغلقت باب الردهة . فأرجو أن تتركيه مفتوحا .

فاطاعته .. وعادت اليه لتسأله السبب .

فقدم اليها مقعدا أمام فراشه . وقال لها دون أن ينظر الى وجهها :

- هذا صحيح ، هذا صحيح ؟ انني على استعداد لان ا... بحياتي .. ولكن لماذا تتحـــدث هكذا دون أن تنظر ال... لماذا ؟

- لا تنظرى خلفك ، هل سمعت ؟ لا تأتي بأية حرك... وتكلمي بصوت خافت ، ولا تبكي ، أتوسل اليك .

- انك قلت منذ لحظة .. ان .. ان حادث القنبلة قـ... يتكرر الليلة ، فهلم بنا الى غرفة الجنرال .

فقال بوريل وعيناه تنظران الى شيء وراءها :

- كلا .. كلا .. لا تتحركي من موضعك ، واصغي ال... ولا تقاطعيني ، لقد قلت لنفسي : مادام الجنرال لا يفكـ... في الانتحار .. ومادمت تحبين زوجك ، فلابد أن يكون هنا... شخص ثالث قد وضع القنبلة في آنية الزهر ، وأن يكون هذا... الشخص قد تمكن من دخول غرفة الجنرال رغم أن جميـ... الابواب كانت مغلقة .

- كلا .. كلا .. من المستحيل أن يتمكن انسان من دخول... غرفته دون أن يمر بغرفتي ، أقسم لك ان ..

ورفعت ساعدها لتقسم ، فجذب بوريل ساعدها بعنف... وهمس :

- قلت لك يجب الا تقاطعيني .

- ولكن .. انبئني أولا .. لماذا تنظر هكذا !

- انني أنظر الى المكان الذي يستطيع الانسان أن ينفذ منه الى غرفة الجنرال مع وجود الأبواب جميعا مغلقة . لا تنظرى خلفك !

فسألت وأسنانها تصطك : ولكن أين هذا المكان ؟

- انه الباب ؟

- اى باب ؟

- الباب الموصل الى سلم الخدم .

- ولكنه مغلق .. ومفتاحه عندى !

- لقد صنعوا له مفتاحا .

- وكيف نفذوا الى غرفة الجنرال ؟

- ان بغرفة الجنرال بابين ، أحدهما يفصل بينهما وبين غرفتك ، والثاني في مواجهة باب سلم الخدم .

- ولكن كيف استطاعوا الدخول من الباب الثاني ؟ انه مغلق بالمفتاح . والمفتاح بداخل الغرفة .

- ان النصف الأعلى من الباب هو عبارة عن لوح من الزجاج .

- ولكن هذا الباب مغلق من الداخل بالمزلاج .

- ان في الامكان فتحه .

- هذا مستحيل .

- ان الفوضويين لم يخترعوا حيلة جديدة يا سيدتي ، فطريقة فتح الالواح الزجاجية هي طريقة رائجة في فرنسا ، ويعرفها كل مشتغل بسرقة الفنادق . وهي لا تتطلب اكثر من احداث ثقب كثقب الدبوس في مكان بالألواح الخشبية قريب من المزلاج الذي يغلق به اللوح الزجاجي .

- يا الهي . انني لا استطيع ان افهمك ، لا استطيع ان افهم كيف يمكن فتح الباب من خلال ثقب كثقب الابرة .

فقال بوريل دون أن ينظر اليها :

- اصغي الي يا سيدتي . ان في مكنة الشخص الذي يريد دخول الغرفة أن يزج في ثقب الدبوس بقطعـــة ملتوية من السلك ثم يجذب بواسطتها مزلاج اللوح الزجاجي . فيفتح اللوح الى الداخل . ويمد الشخص يده ويدير المفتاح فيفتح الباب في الحال .

فغر لون ماتريتا وعتفت :

- يا الهي . ولكن أين ثقب الدبوس ؟

- انه موجود .

- هل اكتشفته ؟

- نعم .. منذ اللحظة الاولى .

- أيها الشيطان كيف وفقت الى اكتشافه في حين انك لم

يدخل غرفة الجنرال غير مرة واحدة . وكان ذلك ليلا ؟

- انني صعدت سلم الخدم مرارا قبل ذلك . وسأذكر لك السبب :

عندما دخلت هذا المنزل الاول مرة .. كان أول همي ان الا يطلى بيد انني لم أضيع وقتي أثناء الطعام عبثا .. فقد لاحظت على أرض غرفة الطعام اثر حذاء صغير أنيق .

كان قدح من الجعة (البيرة) قد انســكب فوق مائدة الطعام .. فسالت الجعة على السجادة .. فتلوث نعل الحذاء الصغير الانيق بالجعة ورأيت آثار هذا النعل متجهة شطر الباب المؤدي الى سلم الخدم .

وكان كوبرياك قد وصف لي هذا المنزل ، وحدثني عمــا وقع به وذكر لي ضمنا ان الخدم لا يصعدون قط الى الطابق الاول .. لان الباب الذي في أعلى سلم الخدم مغلق دائما .. ولذلك راعني أن أرى اتجاه تلك الاقدام الصغيرة نحـــو سلم الخدم .

وعندما همت بتتبع آثار الاقدام .. فتح باب الغرفة .. ورأيتك أمامي .

- ولكنك لم تصارحني وقتذاك بشيء من هذا ؟

- كان عندي من الأسباب ما يمنعني من مصارحتك .

- اذن هلم بنا الآن الى غرفة الجنرال .. يجب أن نوقظه من نومه .

- ابقى هنا .. اننى لم احدثك بشىء بعد .

- نعم لم تحدثنى عن ثقب الدبوس . وعن حادث القنبلة الذى سيتكرر الليلة .

- ساحدثك بكل شىء .. عندما ذهبت بى الى غرفة زوجك امس كان كل همى أن افحص وضع اللوح الزجاجى فى الباب المواجه لباب سلم الخدم . وقد استوثقت فى الحال أن القنبلة ادخلت من ذلك الباب . ومن ذلك الباب ستتكرر المحاولة الليلة .

- ولكن! كيف ؟ ان ثقب الدبوس الذى تزعم أنك رأيته فى الباب قد دلك على الطريقة التى ادخلت بها القنبلة الى غرفة الجنرال ولكن ما الذى يدلك على أن هذه المحاولة ستتكرر ؟

أنت تعلم أن الشقى أو الأشقياء يقومون الآن بمحاولة أخرى بعد أن فشلوا فى المحاولة الاولى فهم يسعون الى وضع قنبلة تحت مقعد الجنرال فى غرفة الطعام .

- من المؤكد يا سيدتى أنهم عدلوا عن القيام بالمحاولة الثانية فى غرفة الطعام بدليل أنهم شرعوا يستعدون لدخول مخدع زوجك مرة أخرى .

وهذا هو السر فى أننى أمرت رجال البوليس بالجلاء عن المنزل . نعم . اننى اصدرت اليهم هذا الأمر وأنا مطمئن الى سهولة مهمتى . فقد كانت هذه المهمة مقصورة على مراقبة شىء واحد ، هو ثقب دبوس . وليس من المتعذر على الانسان يا سيدتى أن يرقب ثقب دبوس .

فنظرت اليه المرأة باعجاب وهتفت :

- ولكن حدثنى أيها الملاك الحارس .. كيف استطعت أن تفهم من ثقب الدبوس أن هناك محاولة ثانية لدخول مخدع زوجى من خلال ذلك الباب ؟

- لا يوجد ثقب واحد يا سيدتى . بل يوجد ثقبان .

- ثقبان ؟

- نعم ! أحدهما قديم ، والآخر جديد .

- ولكن لماذا أحدث الثقب الجديد ؟

- لأنه رأى أن الثقب القديم ضيق ، فأراد بعضهم توسيعه بدبوس كبير من دبابيس القبعات ، ولكن طرف الدبوس كسر داخل الثقب .

- آه .. فهمت الآن سبب اهتمامك بفحص دبابيس القبعات .. يا أنهى .. لم أكن أتصور أن فى الامكان دخول الباب من ثقب الدبوس .

فاستطرد بوريل :

— وعندما كسر الدبوس سد الثقب الاول .. ولهذا كان من الضروري احداث ثقب جديد .. وقد احـــدث هذا الثقب الجديد اولا بمطواة . ثم بدبوس قبعة .

— يا الهي .. اذن فسوف يعيدون الكرة .

— اظن ذلك .

— ولكن هل دلك فحص الدبابيس على شيء ؟

— انني وجدت طرف الدبوس السادس مكسورا .

— الدبوس السادس ؟

— نعم .. دبوس قبعة الآنسة ناتاشا .

فجمدت ماتريتا في مكانها وهتفت : ماذا !

— ماذا دهاك ؟ انني فحصت دبابيسك كما فحصت دبابيسها . فهل تعتقدين انني كنت ارتاب فيك لو انني وجدت احد دبابيسك مكسورا ! كلا .. كان ذهني ينصرف في الحال الى ان بعضهم قد استخدم دبوسك في اغراضـــه المنكرة .

— هذا صحيح . هذا صحيح . ارجو المعذرة . انك حيرت عقلي . انك تجعلني اعتقد في شيء . ثم تعود فتزعزع اعتقادي .. انك شيطان رجيم .

وتناولت راسه بين يديها ، وقبلت جبينه . ولكن بوريل نزع يديها بعنف وخشونة . وغمغم :

— انك تمنعينني عن ان ارى .

فلم تزعجها خشونته ، لانها ادركت سببها وفهمت لماذا كان يتحدث طول الوقت دون ان ينظر اليها .

كان ينظر الى ما ورائها . الى باب غرفتها . والى باب غرفة الجنرال .

نهض بوريل واقفا . وسار على اطراف قدميه حتى دخل غرفة الجنرال .

كان الرجل نائما نوما هادئا ، لا يعتريه شيء من الاحلام المضطربة التي ازعجته في الليلة السابقة . ولعل ماتريتا كانت على حق . نسبت هذه الاحلام المزعجة الى العقاقير المخدرة التي اعتاد الجنرال ان يصارع بها الارق والسهاد . ذلك لانه لم يتناول شيئا من هذه العقاقير في تلك الليلة . بل كان القدح على مقربة منه . وهو مليء بالسائل المخـــــدر حتى الحافة .

القى بوريل نظرة سريعة على الباب الجانبي المقابل لباب سلم الخدم . ثم عاد الى غرفته .. وتمدد في فراشه .

سألته ماتريتا : هل تنام ؟

- كلا .. ولكننى سأطفىء المصباح .

- اذن دعنا نتناوب الحراسة .

بيد أن أحدا منهما لم يغمض له جفن .

ظلت عيونهما تنظر من خلال الابواب الى فراش الجنرال .

وعبرت الساعات ببطء وتثاقل . وخيل لماتريتا ان المحاولة التى تكلم عنها بوريل لن تحدث فى تلك الليلة .

أما بوريل .. فكان يعتقد أن المحاولة لن تقع قبل بزوغ الفجر ، حين تكون للنوم الغلبة على اليقظة . ولكنه مع ذلك لم يحرك ساكنا .

ظل جامدا فى مكانه كالصنم .

وانقضت ساعات وساعات .

وفجأة ، احس بيد ماتريتا توضع على يده ، فحبس اصابعها بين يديه بقوة . وفهمت أنه يريدها على أن تلزم الصمت والسكون .

أرهف كلاهما السمع . وأنصتا . واشرأب عنقاهما .

نعم ، نعم ، كانت هناك حركة غير عادية .

سمع صوت مفتاح يتحرك فى القفل بهدوء .. وساد السكون .

واستمر هذا السكون دقيقة كانت أطول من قرن .

ثم شاهد الباب الجانبى فى غرفة الجنرال يفتح ببطء شديد .

وبرز منه ذراع أخذ يمتد ، ويمتد .

كان فى قبضة اليد التى امتدت شىء لامع .

وشعر بوريل بأن ماتريتا تتأهب للوثوب .. فأحاطها بساعديه . ومنعها من الحركة .

تملكه خوف شديد من أن يسمعها تصرخ مذعورة مستغيثة بينما تلك اليد تمتد نحو فراش الجنرال .



الفصل السادس ـ القنينة

كانت اليد الخفية ممسكة بقنينة ، وتألقت القنينة فى ضوء المصباح الكهربائى .

امتدت اليد حتى وصلت الى الطاولة الموضوعة بالقرب من الفراش ، ثم ارتفعت فوق القدح الملىء بالعقاقير المخدرة ، وسكبت فيه محتويات القنينة .

وانسحبت اليد فى خفة ولباقة كما امتدت ، وسمع بوريل وماترينا حركة المفتاح فى قفل الباب . ثم ساد السكون .

وعندئذ وثب بوريل من فراشه بعد أن أمر ماترينا بأن تلزم الصمت ، ثم مرق كالسهم . ووصل الى باب سلم الخدم اسرع من لمح البصر ، ولكنه وجد ذلك الباب مغلقا .

عاد الى ماترينا وهو يلعن ويصخب ، واختطف منها حزمة فاتيح .

وفتح الباب ، وهبط سلم الخدم مسرعا ، ولكنه لم ير ا .

صعد السلم الكبير على عجل ، وما كاد يصل الى الطابق ـ حتى سمع حركة باب يغلق .

ان الباب الوحيد المغلق فى تلك اللحظة هو باب غرفـــة ا .

وقف بذلك الباب وقلبه يركض بشدة ، وأصاخ السمع ، ولكنه لم يسمع شيئا .

انتظر .. وانتظر .. وأصغى ، ولكن الهدوء التام كان يسود الغرفة التى كانت ترقد فيها الفتاة .

هبط الى الطابق الأول . وغاب هناك بضع دقائق .

ثم صعد السلم الكبير مرة أخرى . ولما وصل الى قمته ، رأى ماترينا بتروفنا فى انتظاره ، وهى شاحبة كالأموات .

سألته : أين اختفى ! أين ؟

فأجابه بصوت خافت .. اضطرت معه ماترينا بتروفنا أن تقترب خطوة أخرى لكى تسمعه :

ـ اننى بحثت فى كل مكان ، ولكنى لم أجد أحدا .

فحملقت فى عينيه كأنها تريد أن تتغلغل الى أعمـــاق نفسـه ، وتقرأ أفكاره . ثم أشارت بأصبعها نحو غرفة ناتاشا وقالت :

ـ هل دخلت هذه الغرفة ؟

ـ هذه الغرفة لا يجب دخولها .

فقالت وهى تصرف بأسنانها : سأدخلها .

ولكنه وقف فى طريقها . وبسط ساعديه ليمنعهــا من المرور ، وهتف :

- لا تتقدمي خطوة أخرى اذا شئت الا تقع هنا فاجعة .

ولكن ذلك الشخص موجود الآن في هذه الغرفة . انه هنا

فهز رأسه وقال : يحتمل الا يكون هنا .

- انه هنا ، مادمت لم تقع على أثره في أي مكان آخر .

- كلا .. كلا .. يحتمل أن يكون قد خرج .

- يحتمل أن يكون قد خرج ، وجميع النوافذ والأبواب مغلقة ؟

- لقد رأيت بعيني رأسك أن ثقب الدبوس يكفي لمرور الانسان .

فعضت على شفتيها واطرقت برأسها .

كانت تريد دخول غرفة نانانشا مهما كلفها ذلك .

قال لها :

- اذا دخلت هذه الغرفة ، ولم تجدي بها من تبحثين عنه ، ضاع كل أمل في كشف الحقيقة ، وتعين علي أن أنفض يدي من هذه القضية ، هل فهمت ؟

فتهالكت المرأة التعسة في أحد المقاعد ودفنت رأسها بين كفيها .

قال بصوت خافت :

- لا معنى لليأس والحزن ، اننا لا نستطيع حتى الآن أن نقطع الشك باليقين في أمر نانانشا .

فهزت رأسها وقالت :

- نحن نعلم انه لا يوجد هنا الآن سواها ، لأن أحدا لم يدخل المنزل أو يخرج منه .

- أكرر لك القول اننا لا نستطيع ان نجزم بأن الشخص الذي رأينا يده لم يخرج من المنزل .

- هذا هو الجنون بعينه . كيف يستطيع الخروج ؟

- لنبحث في الخارج .. كما بحثنا في الداخل .

قال ذلك وهبط السلم من جديد ، وفتح باب غرفة الطعام بهدوء ، ثم فتح احدى النوافذ المطلة على الحديقة .. ووثب منها .

ورافقته ماتريتا حتى النافذة ، فقال لها في همس :

- عليك بمراقبة نانانشا .

وكان نور الصبح قد بزغ ، فأخذ بوريل يسير في الحديقة لصق جدار المنزل بحذر شديد ، ووقفت ماتريتا بشعرفات أمام النافذة وراحت ترقبه فرأته يفحص النوافذ من الخارج وأنابيب الماء ، وأعشاب الحديقة ، ثم بصرت به وهو ينصرف من الباب الخارجي ، فغادرت النافذة ووقفت في بهو الطابق الأول . والقت نظرة على باب نانانشا . فالفتـــه لا يزال مقفلا .

عادت أدراجها الى النافذة المطلة على الحديقة .. ورأت أن بوريل قد وصل الى ضفة نهر « نيفا » .. ووقف ينظر الى الضفة الأخرى حيث يقوم المنزل الذى يقيم فيه الضابطان بوريس وميشيل .

وقضى بوريل بعض الوقت وهو يتأمل ذلك المنـــزل على مبعدة .. ثم جلس على احدى الصخور .. ودفن رأسه بين يديه .

وبعد لحظة .. بصرت به ماتريشا وهو ينهض واقفا .. ويخلع ثيابه بسرعة .. ثم رأته يغوص فى ماء النهر ويسبح شطر منزل الضابطين .



ولما غاب عن بصرها .. عادت أدراجها الى حيث توجد غرفة ناتاشا .

فجثت أمام الباب .. ثم انبطحت على الأرض وأصـاخت السمع .

كان مجرد التفكير فى جريمة ناتاشا يكاد يخرجهـا عن عقلها .

يا الهى .. أيمكن هذا ..

كانت تريد أن تبكى .. بصوت مرتفع .. وتدعو ناتاشا

.. وتسألها .. وتضرع اليها ان تقول الحقيقة .

ومر بها وقت طويل .. وهى منبطحـــة على الأرض .. مضعضعة الحواس .. أشبه ما تكون بالحيوان الجريح .

ثم أشفقت أخيرا أن يفاجئها بوريل وهى فى ذلك الوضع، فنهضت واقفة ، وهبطت السلم ، وقصدت الى غرفة الطعام .. والصقت جبهتها الملتهبة بزجاج النافذة المثلج .. وراحت ترقب عودة بوريل .

وفجأة .. أحست بيد توضع على كتفها .. فنظرت خلفها فى ذعر وجزع .. ورأت بوريل .

قال لها بصوت خافت :

ـ ماذا تفعلين هنا يا سيدتى ؟ ان العمل معك يكاد يكون مستحيلا . لا شك أن الآنسة ناتاشا قد سمعت حركاتك ووقع خطواتك .. ومن حسن الحظ أنها اعتادت أن تسمع الجلبة التى تحدثينها كل ليلة وأنت تبحثين هنا .. وهنـاك .. وتفتشين كل غرفة عشرات المرات .

فأجابت المرأة بصوت حزين :

ـ أؤكد لك أننى لم أحدث أى ضجة تزعجها .

ـ مهما يكون من أمر فيجب الا تعلم ناتاشا بشىء مما حدث الليلة .. هل فهمت ؟ ومتى وقع بصرك عليها فى الصباح فقبليها كالعادة .

فبهتت ماتريا وقد اقشعر بدنها :

ـ الجليلة ؟ هذا مستحيل .. هذا ما لا استطيعه

ـ ولماذا ؟

فلم تجب .. وبكت .. فقال لها في لطف :

ـ اطمئني .. ولا تفقدي الامل .. ان بعضهم قد خرج من منزل الضابطين الليلة .

فرفعت رأسها .. ولمعت عيناها وهتفت :

يا الهي .. كيف علمت ذلك ؟

ـ مادمنا لم نجد اثرا داخل المنزل فقد كان من البديهي أن نقع على آثار خارجه .

ـ وهل وجدت شيئا ؟

ـ نعم ..

ـ بارك الله فيك ايها الملاك .

ـ لقد وصلت الى حديقة المنزل الذي يقيم فيه الضابطان .. ورأيت أغصانا تحطمت حديثا .. وآثار أقدام على الثلج الذي يغطي ارض الحديقة .

ـ هل تعني أن احدهما جاء الليلة الى هذا المنزل ؟

فصمت بوديل ولم يجب .

سألته : ايهما ؟ .. بوريس ؟

ـ لقد خرج انسان من منزل الضابطين ، ودخل هـذا المنزل ، ثم عاد ادراجه ولكنني لا اعلم من الذي فعل ذلك .. أهو بوريس .. ام شخص آخر .

وقد استخدم الشخص في قدومه قاربا عبر به النهر .. ولكنه اجتاز النهر سباحة في عودته .

فاضطربت ماتريا ظهرا البطن . وسألت بحدة :

ـ هل انت واثق أن هذا الشخص قد دخل هـذا المنزل وخرج منه ؟

ـ نعم .. انني واثق من ذلك .

ـ وكيف دخل وخرج ؟

ـ من نافذة الغرفة الصغيرة المجاورة لغرفة الآنسة ناتاشا

ـ هذا مستحيل .. فقد وجدنا هذه النافذة مغلقة !

ـ بل ذلك ممكن .. طالما في الاستطاعة اغلاق النافذة بعد فرار الشخص منها .

ـ آه ..

ثم استطردت وهي تضرب بأسنانها :

ـ ماذا يمنعني من ان القي بنفسي عليـه عندما مد يده

وسكب السائل في القدح ؟ لو لم تمنعني .. لقبضت عليه.. وعرفنا الحقيقة .

— كلا .. لقد كان في استطاعته بحركة بسيطة أن يغلق الباب ويفر قبل أن تصل اليه .. ويكون قد علم أننا نترصده فتضيع جهودنا سدى .

— ولماذا لم نترصده في الحديقة .. أو امام باب الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة تاتاشا ؟

— لو انني فعلت هذا لما جاء ذلك الشخص على الاطلاق .. انه لم يأت الا لانه لم يجد من يترصده بباب الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة تاتاشا .

— يا الهي .. ماذا تعتقد اذن .. ماذا تعتقـــد ؟ انني لا أستطيع أن أفهم شيئا .. ان ذهني مضطرب .. فأوضح لي كل شيء ، لانك تعلم كل شيء .. تكلم .. أريد أن أعـــرف الحقيقة . أريد أن أقطع الشك باليقين . هل الشخص الذي جاء الليلة ينتمي كذلك الى الجمعيات الفوضوية التي قررت اعدام زوجي ؟

فأجاب بوريل بهدوء :

— لو اقتصر الأمر على الجمعيات الفوضوية وحدها لكان هينا .

— يا الله .. انني أكاد أجن ، ماذا تعني بقولك « لو اقتصر

الامر على الفوضويين لكان هينا » ؟

فلم يجب بوريل عن هذا السؤال بل قال :

— ماذا فعلت بالقدح الذي يحتوي السائل المخدر ؟

— القدح ؟ جسم الجريمة ؟ انني احتفظ به في غرفتي .

— حسنا . أرجو أن تسكبي محتوياته في زجاجة خاصة ثم تملأيه بسائل نقي ثم تعيديه الى موضعه بالقـــرب من الفراش .

— الحق معك . انك تفكر في كل شيء ، سأرد القدح الى موضعه حتى اذا استيقظ الجنرال أمكنه أن يتجرع السائل المعتاد دون أن يتطرق اليه شك .

— ولكن يجب أن لا يجرع محتويات القدح .

— اذن لماذا املأه ، واضعه بالقرب من فراشه ؟

— يجب أن يعلم الشخص الذي يهمه تسميم الجنرال أن هذا الاخير اذا لم يكن قد احتسى السائل المخدر فليس ذلك الا لانه لم يرغب في احتسائه وأن الصدفة وحدها هي التي انقذته من الموت . هل فهمت ؟

— نعم ، نعم ، ولكن اذا حدث أن استيقظ الجنرال وأراد أن يحتسي جرعة من السائل المخدر ؟

— قولي له انني احظر عليه ذلك .. وعليك متى استيقظ

الجنرال أن تسكبي محتويات الكأس علانيـــة بدعوى عد[م]
صلاحية السائل حتى يعلم المجرم أو المجرمون لماذا لم يمت
الجنرال . ولماذا لا يزال يستمتع بصحة جيدة .

— نعم . هذا رأى سديد . وماذا أصنع بالسائل الذي
مزج بالسم ؟

— ايتيني به .

فأسرعت مانويلا الى غرفتها وعادت بعـــد خمس دقائق
تقريبا . قالت :

— ان الجنرال نائم . وقد وضعت القدح على مقـــربة من
فراشه .

— حسنا فعلت .. والآن .. اغلقي باب هذه الغرفة ..
اذ يجب أن نتحدث مليا .

— ولكن اذا ما حدثت محاولة أخرى ونحن هنا ؟

— اطمئني يا سيدتي ، فانهم يعتقدون الآن أن الجنرال مات
مسموما .

لعل هذه هي الفترة الوحيدة التي تستطيعين فيها أن تنامي
مطمئنة .

— انك تعبث بعقلي أيها الشيطان . فتارة تجعلني أعتقد
أن المجرم بين ظهرانينا .. وتارة تقنعني بأنه ليس من أهل

المنزل .. حتى ليخيل الى أنك تعرف السر ولا تخفى عليك
[خافي]ة .. ولكن حدثني .. كيف يجب أن يكون موقفي من
[...]ينا ؟

— لا شيء .

— كيف ؟

— علينا فقط أن نراقبها .

— نعم . نعم .

— اتركي لي مهمة مراقبتها .

— حسنا ، أعدك بذلك ، فافعل ما شئت ، ولكن حدثني
[ب]صراحة . لماذا قلت لي منذ لحظـــة انه لو اقتصر الأمر على
الفوضويين لكان هينا ؟ هل تعتقد اذن أنها ليست من شركاء
الفوضويين ؟ . ان لها آراء شديدة التطرف .

— اصغي الي يا سيدتي . انك لا ترتابين في غير ماناشا .
وقد وعدت منذ لحظة بأن تتركي لي مهمة مراقبتها فعديني
بألا ترتابي فيها .

— ولكن لماذا قلت ان الأمر يكون هينـــا لو اقتصر على
الفوضويين ؟

— انني قلت ذلك يا سيدتي العزيزة لأنه اذا لم يكن لغير
الفوضويين اصبع في هذه القضية لهان الأمر كثيرا .. والا
فهل تعتقدين يا سيدتي أن الفوضوي الحقيقي ، الفوضوي

الخبير بهذا الوصف ، يهمه فى شىء أن تنفجر قنبلته فى آنية الزهور بدلا من أن تنفجر فى أى مكان آخر ما دام مقدرا لها على كل حال أن تفتك بالجنرال ؟

ماذا يهمه اذا انفجرت القنبلة داخل غرفة الجنـــرال أو خارجها ؟

وما يضيع وقته مثلا فى رفع الواح الخشب من أرض غرفة الطعام لكى يخبىء تحتها احدى القنابل . بدلا من أن يلقى القنبلة فى الغرفة كيفما اتفق فتنفجر ، وتنســف الجنرال وجميع سكان المنزل ؟

هل تعتقدين يا سيدتى أن الفوضوى الذى يريد أن يثأر لشبيبة موسكو ويستطيع أن يصل الى باب غرفة الجنرال هو من البلاهة والغباء بحيث يضيع وقته عبثا بثقب الباب بدبوس قبعته بدلا من أن يلقى على باب الغرفة أضخم قنبلة يستطيع أن يحملها دون أن يهمه أن تمزق القنبلة جسمه قبل أن تمزق جسم الجنرال ؟

هكذا يفعل الفوضوى الحقيقى يا سيدتى ، يلقى قنبلته أو يطلق مسدسه . ولا يهمه أن يهلك ، أو يقبض عليه .. أما غريمنا فانه يلجأ الى أساليب لصوص الفنادق . لماذا ؟ لأنه لا يريد أن يراه أحد . ولا يريد أن يضبط متلبسا بالجريمة. وهو لذلك يلزم جانب الحذر التام . ويلجأ الى الوســائل البطيئة .. يلجأ الى السم والى القنابل التى تنفجر فى موعد محدد .

ـ ولكن هل فى استطاعة هذا الغريم الذى تتحدث عنه أن يتجول فى هذا المنزل ليل نهار كما يريد ؟ .. أجبنى هـــل تعرف هذا الغريم ؟

ـ ربما .. ولكن يجب أن أتأكد .

ـ يا الله .. كم انت جامد العاطفة بطىء الشعور .. ألا تشعر بالفضول الى معرفة هذا الشقى بأسرع ما يمكن ؟ انه من أصدقاء الأسرة بغير شك وفى استطاعته أن يدخل المنزل ليلا كما يشاء .. لان بالمنزل من يفتح له نافذة الغرفة الصغيرة الملاصقة لغرفة ناتاشا .

وهو يأتى من المنزل الذى يقيم فيه بوريس وميشيل .. يا الهى .. اذن هو أحد هذين الرجلين . انه بوريس . أو ميشيل .

اننى لا أستطيع أن أصدق حواسى .. لا أستطيع أن أتهم بوريس . أو ميشيل . أو ناتاشا . ان جميع حواسى ترفض اتهامهم . ولكن بماذا تفسر الظواهر والشواهد العديدة التى وقعت عليها ؟

تكلم .. أجبنى .. الا تستطيع أن تتصور النضـــال الهائل القائم فى أعماق نفسى ؟

ـ من الحكمة الا تتهمى أحدا أو ترتابى فى أحد .. ويحسبك أن ترى وأن تلاحظى وتنتظرى .

- المهم الآن ان نعرف نوع السائل الذى سكب فى كاس الجنرال .. اين هذا السائل ؟

فقدمت اليه قنينة صغيرة دسها فى جيبه ونهض وهو يقول :

- سأذهب الآن لتحليل هذا السائل ومعرفة نوعه . وساعود بعد ساعتين على الاكثر . ولكن من المهم الا يعرف الجنرال شيئا .

وبعد ساعتين عاد بوريل . فوجد ماتريتا تنتظره على احر من الجمر .

أسرعت لاستقباله . فقال لها همسا :

- يجب أن تلزمى الهدوء . هل تعلمين ماذا كان فى القنينة التى سكبت محتوياتها فى كاس الجنرال ؟

- كلا . ماذا كان فيها ؟

- كان فيها كمية من محلول الزرنيخ تكفى لقتل عشرة رجال .

- يا الهى !

- اصمتى . وهلمى بنا الى غرفة الجنرال .

أصبح الجنرال فى حالة نفسية حسنة . فقد تذوق فى تلك الليلة طعم النوم الهادىء لأول مرة منذ مذبحة موسكو . وقد علل ذلك بامتناعه عن تناول السائل المخدر . فشجعه

بوريل على مقاطعة السوائل المخدرة . ودار الحديث بين الثلاثة حول امور شتى . الى ان اقبلت ناتاشا للاستفسار عن صحة ابيها .

كانت شاحبة اللون تبدو عليها علامات التعب والاجهاد . وتدل سحنتها على انها لم تستمتع فى تلك الليلة بنوم هادىء .

وقد لاحظ الجنرال ذلك . فقالت :

- الواقع أننى قضيت ليلة مليئة بالأحلام المزعجة . ولكن انت يا ابى . هل نمت نوما هادئا ؟ وهل تناولت السائل المخدر ؟

- كلا . كلا . اننى لم اتناول منه نقطة واحدة .

- حسنا فعلت .. حسنا فعلت .. ليس هناك ما هو الذ وامتع من النوم الطبيعى .

وهنا نظر بوريل الى ماتريتا نظرة فهمت معناها . فتناولت القدح الملىء بالسائل المخدر . وخرجت به من الغرفة وسكبت محتوياته . وتريثت قليلا لتسيطر على شعورها وتهدىء من اضطرابها .

قالت ناتاشا :

- سوف ترى يا ابى ان الحياة فى هذا المنزل ستسير فى مجراها الطبيعى بعد جلاء رجال البوليس اليس كذلك يامسيو بوريل ؟

المهم الآن ان نعرف نوع السائل التى سكب فى كأس الجنرال .. اين هذا السائل ؟

فقدمت اليه قنينة صغيرة دسها فى جيبه ونهض وهو يقول :

- سأذهب الآن لتحليل هذا السائل ومعرفة نوعه وسأعود بعد ساعتين على الاكثر . ولكن من المهم الا يعرف الجنرال شيئا .

وبعد ساعتين عاد بوريل . فوجد ماتورينا تنتظره على احر من الجمر .

أسرعت لاستقباله . فقال لها همسا :

- يجب أن تلزمى الهدوء . هل تعلمين ماذا كان فى القنينة التى سكبت محتوياتها فى كأس الجنرال ؟

- كلا . ماذا كان فيها ؟

- كان فيها كمية من محلول الزرنيخ تكفى لقتل عشرة رجال .

- يا الهى !

- اصمتى . وهلمى بنا الى غرفة الجنرال .

أصبح الجنرال فى حالة نفسية حسنة . فقد تذوق فى تلك الليلة طعم النوم الهادىء لاول مرة منذ مذبحة موسكو . وقد علل ذلك بامتناعه عن تناول السائل المخدر . فشجعه

بوريل على مقاطعة السوائل المخدرة . ودار الحديث بين الثلاثة حول امور شتى . الى أن أقبلت ناتاشا للاستفسار عن صحة ابيها .

كانت شاحبة اللون تبدو عليها علامات التعب والاجهاد . وتدل سحنتها على انها لم تستمتع فى تلك الليلة بنوم هادىء .

وقد لاحظ الجنرال ذلك . فقالت :

- الواقع اننى قضيت ليلة مليئة بالاحلام المزعجة . ولكن انت يا ابى . هل نمت نوما هادئا ؟ وهل تناولت السائل المخدر ؟

- كلا . كلا . اننى لم اتناول منه نقطة واحدة .

- حسنا فعلت .. حسنا فعلت .. ليس هناك ما هو الذ وأمتع من النوم الطبيعى .

وهنا نظر بوريل الى ماتورينا نظرة فهمت معناها . فتناولت القدح الملىء بالسائل المخدر . وخرجت به من الغرفة وسكبت محتوياته . وتريثت قليلا لتسيطر على شعورها وتهدىء من اضطرابها .

قالت ناتاشا :

- سوف ترى يا ابى أن الحياة فى هذا المنزل ستتخذ فى مجراها الطبيعى بعد جلاء رجال البوليس اليس كذلك يا مسيو بوريل ؟

— نعم ، ذلك رأيى أيضا يا آنسة .. ففى استطاعتكم الآن أن تعيشوا فى سلام .. وفى اعتقادى أنه لم يعد ثمة خطر .. وبهذه المناسبة يجب أن أنتهز الفرصة قبل رحيلى لاشكركم على حسن ضيافتكم .

فهتفت ناتاشا :

— هل فى نيتك أن ترحل يا مسيو بوريل ؟

وعادت ماريا فى هذه اللحظة .. وسمعت عبارة ناتاشا ، وفتحت فمها لتحتج على رحيل بوريل ، ولكن هذا الأخير أسكتها وقال على الفور :

— فى نيتى أن أقضى أسبوعا فى المدينة . وقد احتجزت غرفة فى أحد الفنادق لأتمكن من مقابلة بعض الأصدقاء والزائرين .. ولكنى سأتردد عليكم من وقت لآخر .

فقال الجنرال بصوت رزين :

— هل أفهم من عزمك على الرحيل انه لم يعد ثمة خطر ؟

— لا خطر على الاطلاق .

وما كاد بوريل يبتعد عن بيت الجنرال بضع مئات من الأمتار حتى لحق به أورميلوف وهو يلهث .. وقدم اليه رسالة حملها بريد الصباح ..

ألقى بوريل نظرة على غلاف الرسالة ، فوجد اسمه « مسيو ...ستاف بوريل » مكتوبا باللغة الفرنسية بخط لا يعرف صاحبه . ففض الرسالة ، وقرأ فيها ما يلى :

« المرجو من مسيو أرسين لوبين ألا يهتم بأمور لا شأن له . هذا هو الانذار الأول والأخير .. »

وكان الخطاب غفلا من الامضاء .. فقطب بوريل حاجبيه ثم دس الرسالة فى جيبه وهو يغمغم :

— من حسن الحظ أننى نفضت يدى من هذه القضية .. انتهى دورى فيها . اما مابقى فمن شأن كوبريان .. فليذهب اليه .

الفصل السابع ـ حياة بحياة

تهالك بوريل على مقعـــد وثير في مكتب مدير بوليس موسكو .. وراح يصعد هذا الأخير بعينيه وهو يوصد بابه بعناية ..

قال كوبريان وهو يعود الى مقعده : الآن نســـتطيع أن نتحدث دون أن يزعجنا أحد .

فقال بوريل في هدوء : لقد جئتك يا مسيو كوبريان لكي أقدم لك حسابا عن مهمتي وأترك لك عملية التصفية النهائية .. وستكون مهمة التصفية النهائية قاصرة على القاء القبض على المجرم الذي لا اريد ان أعرفه أو أسميه .

ويجب بهذه المناسبة أن أقول لك انهم حاولوا ليلة أمس تسميم الجنرال تريباسوف بوضع محلول الزرنيخ في قدح السائل المخدر الذي اعتاد الجنرال أن يتناوله ليلا لمقـــاومة الأرق .

فغمغم كوبريان :

ـ آه .. ألم أقل لك ان المسألة عائلية بحتة ؟

ـ ان المسألة ليست عائلية بحتة كما تعتقد يا مســـيو كوبريان .. لأن الشخص الذي وضع السم في كأس الجنرال قد جاء من الخارج .. فهو ليس من أهل المنزل كمـــا تتصور .

فسأله كوبريان في دهشة : وكيف استطاع الدخـــول ؟

ـ من نافذة الغرفة الصغيرة التي تطل على نهر نيفا والتي تلحق بغرفة الآنسة ناتاشا . وقد اعتاد الدخول والخروج من هذه النافذة وفي استطاعتك مع شيء من الحكمة واللباقة أن توقع به متى كرر المحاولة .

ـ وكيف علمت انه اعتاد الدخول والخروج من هـــذه النافذة ؟

ـ انه يصعد الى النافذة بواسطة أنبوب الماء . ويستعين على تسلق الأنبوب بخطاف مشدود الى حبل ، فهو يحيط جسمه بالحبل ويثبت الخطاف بالأنبوب .. وهكذا يستطيع الصعود والهبوط وهو بمأمن من السقوط .

وقد وجدت آثار هذا الخطاف على الأبواب وعلى حافـــة النافذة وهذه الآثار تدل على تعدد المحاولات .

ـ ولكن هذه النافذة تغلق دائما .

ـ ان هناك من يفتحها له .

ـ ومن هو الشخص الذي اعتاد أن يفتحها ؟

ـ هذا ما لا شأن لي به . نعم ليس من شأني أن أذكر لك اسمه . انني لا أريد أن أعرفه .

فهتف كوبريان في الحال : آه .. انها ناتاشا بغير شك . لقد كنت واثقا دائما من وجود حية رقطاء في هذا المنزل .

لعلك تذكر أنني قلت لك انها لا تجسر على الخروج من
المنزل الا نادرا . ذلك لان شيئا من حركاتها لا يخفى علينا
وحتى تعلم ذلك .

وقد حدث مؤخرا أنها قصدت الى حى (درفينا) وهو حى
قديم معروف بانه عش الثوار والفوضويين . فاجتازت جميع
شوارعه . دون أن تقابل أحدا فيه . ودون أن تتحدث الى
أحد . أو تطرق أحد الابواب . ولماذا ؟ لانها احست بانزعاج
من يتبعها . وبانها موضوعة تحت المراقبة . فكان من المتعذر
عليها أن تقابل شركاءها فى الخارج . ولذلك عمدت الى
مقابلتهم فى منزل أبيها .

– انها لم تقابل فى منزل أبيها غير شخص واحد .

– هل أنت واثق من ذلك ؟

– نعم .. فالآثار التى اكتشفتها على انبوب الماء .. وعلى
حافة النافذة لا تترك مجالا للشك فى أن خطافا واحدا قد
استعمل فى جميع المحاولات .

– يالها من شقية ..

– يخيل الى أن هذه الفتاة تزعجك أكثر من أى انسان آخر
فى روسيا يا مسيو كوبريان . بيد أننى لم أجىء الآن للتحدث
اليك عنها .. انما لارشدك الى الطريق الذى اعتاد أن يسلكه
الشخص الذى يعمل على الفتك بالجنرال .

– أليست هى التى تمهد له الطريق ؟ أليست هى التى

له نافذة الغرفة ؟

– لا شأن لى بهذا .

– ياليها من تعسة .. هل تعتقد ان بينها وبين ذلك الشخص
علاقة غرام ؟

– كلا ..

– هذا صحيح .. فناتاشا ليست بالفتاة التى تعشق
وتتورط فى الحب . انها امرأة بلا قلب .. ولكنها ذات عقل
.. ومن كان على شاكلتها وتسمم عقله بادران الثورة والتمرد
والفوضوية فانه لا يحجم عن شىء من الفظاعات .

واطرق كوبريان برأسه لحظة ثم سأل :

– لكن ترى هل المسألة مسألة مبدأ اجتماعى فحسب ؟ اننى
أميل الى الاعتقاد بأننا حيال مأساة عائلية .. مأساة عائلية
لا أكثر ولا أقل .

هل تعلم يا مسيو بوريل أن ناتاشا تحسب من وفاة أبيها
ثروة طائلة ؟

فأجاب بوريل : أعلم ذلك .

وقد نطق بوريل بهاتين الكلمتين بصوت عجيب .. جعل
كوبريان ينظر اليه بحدة ..

سأله : ماذا بك ؟

فأجاب بوريل بصوت رزين :

– لا شىء . كل ما أرجوك أن تقتنع به هو أننا حيال عمل

من أعمال الفوضويين .. ولسنا حيال جريمة يراد بها الحصول على المال .

– وما الذى يحملك على هذا الاعتقاد ؟

– انى تسلمت اليوم رسالة تهديد .. أعتقد انها من الفوضويين .

فضحك كوبريان وهتف : كن على حذر اذن يا مسيو بوريل .

– أنا لا أخشى شيئا .. لأنى نفضت يدى من هذه القضية وانتهى الأمر .. فقط أردت أن أقول لك ان غريمنا هو فوضوى من طراز جديد يختلف عن الفتيان الفدائيين الذين تزودهم الجمعيات الفدائية بالقنابل .. فينطلقون بها وهم عالمون أنهم ذاهبون الى الموت .

– والى أين وصلت فى اقتفاء أثر هذا الغريم ؟

– الى بيت (كريستوفسكى) على ضفة نهر (نيفا) .

فوثب كوبريان من مكانه وهتف :

– بيت (كريستوفسكى) ! حيث يقيم الضابط بوريس ؟ فهمت كل شئ الآن .. انه خطيب ناداشا ، ولا شك أنه يعمل مع هذه الأخيرة للحصول على ثروة الجنرال بأسرع ما يمكن .

فقال بوريل فى هدوء :

– هذا المنزل يقطنه كذلك ميشيل كورساكوف .

– هذا الشاب من أخلص جنود القيصر رغم رقة شعوره .

– من الحكمة أن يرتاب الانسان بكل شخص يا مسيو بوريل .

– أنا مثلا .. لا أستطيع الارتياب فى رجالى .. لأننى أمنحهم حق المعرفة .

– انك مخطئ ..

– ماذا تعنى ؟

– سأقول لك شيئا قد يفيدك اذا حاولت أن تضع يدك على عنق صاحبنا الذى اعتاد أن يغشى بيت الجنرال كلما أراد .

نعم .. اذا أردت أن تفرض على بيت الجنرال رقابة صحيحة ، فانه يتعين عليك أن تختار لمراقبة النافذة المعهودة شخصا تثق به كما تثق بنفسك .. لا رجلا يقوم بحراسة غريمك لكيلا يفاجئه أحد وهو يتسلق أنبوب الماء ..

– لا أستطيع أن أفهمك يا مسيو بوريل ؟

– ان جميع الدلائل والآثار تدل على أن ذلك الغريم اعتاد تسلق أنبوب الماء .. والوثوب من النافذة فى ذلك الوقت الذى كان فيه رجالك يحرسون المنزل ليل نهار .. ولكن على لاحظت يا مسيو كوبريان أن رجلا معينا من رجالك اعتاد القيام بالحراسة ليلا باستمرار تحت هذه النافذة ؟

يوجد بمنزل الجنرال دفتر خاص لتسجيل أسماء الرجال الذين قاموا بالحراسة .. فاذا فحصت ما هو مسجل بهذا الدفتر .. تبين لك ان رجال البوليس كانوا يتناوبون الحراسة فى جميع أركان المنزل والحديقة .. ما عدا واحدا

ولكن كوبريان لزم الصمت . وراح يسير في الغرفة جيئة وذهابا بينما شرع الشرطيان في نزع ثياب تومان الذي لم يبد أية مقاومة .

صاح بوريل مرة أخرى وهو يسير في أثر كوبريان كأنه يستجديه أو يضرع اليه :

— ماذا تريد أن تصنع يا سيدي ؟

فأجاب كوبريان بغلظة : اليك عني .

واختطف سوطا من الجلد . وانهال به على جسد تومان . وهو يصب عليه أقبح الشتائم والسباب .

كان السوط يهبط على جسد الرجل التعس . فيترك فيه أثرا داميا عميقا . والرجل صامت لا يتأوه ولا يصيح كأنه قديس يهون عليه أن يموت ولا يرجع عن عقيدته .

ولما ألقى كوبريان السوط أخيرا وهو يلهث تعبا وغيظا . هتف بوريل بصوت أجش :

— سوف أنبيء القيصر بهذه القساوة .

فأجاب كوبريان :

— انك لا تعلم مبلغ الضرر الذي ربما ترتب على خيانة هذا الشقي .

وهنا ألقى تومان ثوبه على كتفيه وارتمى على أحد المقاعد وقال بصوت لاهث وهو ممتقع اللون . لامع العينين :

— نعم . لا أحد يعلم ما كنت أضمر من الضر . انك ورجالك

[illegible] على شاكلتك قد تعلمتم بي أقصى ما يمكن لانسان [illegible] للرحمة والانسانية معنى ، أن يفعله بانسان لا يملك [illegible] ركم وقسوتكم دفعا . انني لا أدعي تومان . بل أدعى [illegible] . فاصغ الي يا كوبريان .. لقد كان لي ولد .

واغرورقت عينا الشرطي الشيخ بالدموع واستطرد :

[illegible] كان لي ولد أعز على من حياتي . وانسان عيني . ولم [illegible] لي أو لولدي نزعة سياسية . وكنت موظفا في موسكو . [illegible] ولدي طالبا .

وحدث أثناء الاحتفال بعيد العمال أن خرجت مع ولدي [illegible] فقد قيل [illegible] ما يقع في الشوارع بالقرب من حي برسنيا [illegible] معركة هائلة وقعت هناك بين الثوار ورجال البوليس [illegible] فدفعنا الفضول الى رؤية الآثار التي تخلفت عن هذه المعركة .

[illegible] مررنا بمركز البوليس في برسنيا فاعترضتنا جماعة من رجال الشرطة رابطوا في عرض الطريق . وراحوا يستوقفون المارة ويفتشونهم .

وقفت مع ولدي . وحللنا أزرار معاطفنا وثيابنا . وأقبل رجال الشرطة يفتشوننا ولاحظوا أن ولدي يرتدي تحت معطفه ثوبا من ثياب الطلاب الذين كانوا وما زالوا قذى في عيون البوليس وأعداء الثورة . ففتشوه بعناية . ووجدوا في صدريته دفترا صغيرا كان قد سجل فيه أنشودة من أناشيد العمال نشرتها احدى الصحف مؤخرا .

ولم يكن بين أولئك الشرطة من يجيد القراءة فحسبوا أن الأنشودة منشورا يحض على الثورة . وألقـــوا القبض على ولدي .

طلبت اليهم أن يعتقلوني معه فطردوني .

أسرعت الى الجنرال تريباسوف الحاكم العســـكرى .. وطلبت مقابلته ولكنه أمر رجاله بطردى . فابعدونى عن بابه بأحذيتهم .

ولما الححت فى مقابلته أمر بوضعى فى السجن حتى صباح اليوم التالى .

ولما اطلقوا سراحى فى اليوم التالى .. اسرعت الى مركز البوليس فى برسينا وسالت عن ولدى .. فقالوا لى انهـــم لا يعرفوننى ولا يعرفون ولدى .

بيد أن أحد الشرطة الذين ألقوا القبض على ولدى فى اليوم السابق عرفنى وأشار الى مركبة خرجت فى تلك اللحظة من مركز البوليس يحيط بها جماعة من القوزاق وقال لى « ان ولدك فى هذه المركبة .. انهم يحملونه الى المقبرة » .

جن جنونى حزنا ويأسا .. فتبعت المركبة .. حتى بلغت الى جولوتيرين حيث المقبرة العامة التى تلقى فيهـــا جثث المجهولين والمجرمين .

وقفت المركبة هناك . وأخرج منها القوزاق ثلاث عشرة جثة نبذوها على الثلج .

بحثت عن جثة ولدى حتى وجدتها . رأيت على وجهه أبلغ آثار العذاب والتعذيب . قلت للجنود انه ولدى . فسمحوا لى بأن أقبله لآخر مرة .

قبلته فى وجهه وقبلته فى مواضع الجروح التى أثخن بها جسده الغض .

كانت اربعة عشر جرحا . ووجدت ان الجنود قد سرقوا السلسلة الذهبية التى تدلت منها صورة والدته .

اقسمت أن أنتقم . ولم تكد تنقضى اربع وعشرون ساعة حتى وضعت نفسى تحت امرة اللجنة المركزية للثورة .

وبعد اسبوع . صدر الأمر بنقل الشرطى (تومان) من بوليس (كيف) الى بوليس (موسكو) . ولكنه قتل بطريقة غامضة بعد ان بارح (كيف) واختفت جثته . وجاءتنى أوراقه الشخصية عن طريق اللجنة المركزية .. وقيل لى اننى أشبه (تومان) كل الشبه . وان فى استطاعتى أن أخـدم الثوار وانا فى سلك رجال البوليس كما لا اســتطيع وانا طريدهم .

كان كل أملى فى الحياة أن أنتقم من تريباسوف أو أساعد فى الانتقام منه .. آه .. كم وددت لو أستطيع أن أخنقه بيدى .

غير أن اللجنة المركزية كانت قد ناطت بسواى مهمة انقاذ روسيا من شر الطاغية .. وبذلك اقتصرت مهمتى على مساعدة

الشخص الذى اختارته اللجنة • والآن • هل تعتقد أننى أبوح
لك باسم هذا الشخص ؟

على انك اذا عرفت هذا الشخص ، فسوف يتلوه آخر •
وآخر • حتى يفنى الثوار جميعا • او يهلك تريباســـوف
الطاغية •

هذا كل ما استطيع أن أقوله لك يا كوبريان •

وصمت الرجل
وقال وشرر الغ ثم تحول فجأة الى بوريل ••
ينيه •
— أما أنت • فلم تع حياتك أثمن من حياتى • وذلك خير
عزاء لى •

وكان كوبريان قد ترك الرجل يتكلم ويفضى بما عنده دون
أن يحـــاول مقاطعته • فلما فرغ من كلامه نظر اليه فى حزن
وقال :

— هل تعلم أيها التعس أن مصيرك سيكون الاعـــدام
شنقا ؟

فصاح بوريل : كلا يا مسيو كوبريان • أراهنك على أن
هذا الرجل لن يعدم

— فأومأ كوبريان الى الشرطيين أن يذهبا بتومان •

وقال موجها سؤاله الى بوريل : ولماذا ؟

— لأننى أنا الذى وشيت به •

— وهل ذلك يبرر الصفح عنه ؟ ماذا تريدنى على أن أصنع
؟

— ضعه تحت الحراسة • واحتفظ به لى •

— بأى مقابل ؟

— فى مقابل حياة الجنرال تريباسوف • حياة بحيا
وستكون أنت الرابح •

— انك تتكلم كما لو كانت حياة الجنرال تريباسوف فى
قبضة يدك ولك حرية التص
— ربما ••

— هل تريد أن أقول لك شيئا يا مسيو بوريل ؟ •• اعلم
اذن بأن حياة الجنرال تريباسوف بعد هذا الذى سمعته من
تومان الذى ليس بتومان •• لم تعد أثمن من حياتك اذا بقيت
فى روسيا يوما آخر •

— كلا لن ارحل قبل أن أوضح لجلالة القيصر ما عجز عنه
بوليسه عن ايضاحه من أسرار القضية التى كلفت بتحقيقها •

فعض كوبريان على شفته واطرق برأسه •

سأله بوريل وفى عينيه بريق الفوز :

— ماذا فى نيتك أن تفعل بهذا الرجل ؟

— سأرسل به الى المستشفى العسكرى لمعالجته •

- ثم ؟

- ثم أدفع به الى جهة الاختصاص .

- أى الى المحكمة فالمشنقة ؟

- ربما ..

- دعنى أكرر لك ما قلته لحظة يا مسيو كوبريان .. حياة بحياة . امنحنى حياة هذا الشيخ التعس .. وأعدك بحياة الجنرال تريباسوف ..

- أوضح ..

- ليس هناك ما يحتاج الى الايضاح .. هل تعدنى .. بان تكتم قصة هذا الرجل ..؟

- حسنا . ولكن بشرط .

- هو ؟

- هو أن تحدثنى بتفاصيل التحقيق الذى قمت به .. والأدلة التى وقعت عليها لكى أقدم تقريرى الى جلالة القيصر .

- اتفقنا .. وبهذه المناسبة أرجو أن تتخذ الاجراءات الضرورية بشأن جواز سفرى . لأن فى نيتى الرحيل غدا .

الفصل الثامن - مأساة

عاد بوريل فى المساء الى منزل الجنرال تريباسوف . وأدهشه وهو يهم بدخول المنزل أن يسمع حركة غير عادية فى الغابة القريبة .

حانت منه التفاتة . فرأى بين الأشجار رأسا يرتفع فوق الأعشاب ثم يغوص فجأة .

قصد الى الغابة . ولم يكد يصل الى الصف الأول من الأشجار حتى برز له كوبريان وفى يده مسدس .

سأله : أنت هنا . وبنفسك ؟ فارتسمت على فم كوبريان ابتسامة غامضة .. وأجاب بصوت غريب لم يألفه بوريل : نعم .

- هل من جديد ؟

فأجاب مدير البوليس بتلك اللهجة الغامضة : ان عندى من الأسباب ما يحملنى على الاعتقاد بأن محاولة أخرى ستقع الليلة .

- هل تاتيانا بالمنزل ؟

- نعم .. وأعتقد أنها فى غرفتها . رغم أننى لا أرى ضوءا فى نافذتها .

- هل أخطرت ماترينا بتروفنا ؟

- نعم وطلبت اليها ان تكون على حذر . والا تأمن لانسان .

- وماذا فى نيتك ان تفعل ؟

- هذا يتوقف على الظروف . يجب أن أعمل شيئا على كل حال .

- أتمنى لك التوفيق . والى اللقاء .

- الى أين أنت ذاهب ؟

- انى ذاهب لأنام طبعا .

ومد يده الى كوبريان . ولكن هذا امسك بها وهمس :

- صبرا .. اصغ .. الا أتسمع ؟

فارهف بوريل أذنيه . وسمع حركة مجداف فى الماء . فهتف :

- انه جاء سالكا ذات الطريق التى سلكها ليلة امس . سأترصده فى المنزل . حتى يثب من سور الحديقة .

قال ذلك وانبطح على الارض . وراح يزحف على يديه وركبتيه حتى وصل الى المنزل . وهناك لاحظ ان النافذة المعهودة مفتوحة قليلا .

وفى ذات اللحظة . شعر بوريل بحركة بالقرب من سور

الحديقة فشهر مسدسه وتوارى خلف احدى الأشجار .

ومر الشخص أمامه . فحاول عبثا أن يرى وجهه . لأنه كان مقنعا وقد التف بوشاح أسود كبير .

وفى هذه اللحظة فتحت النافذة قليلا .. وأطل منها رأس ناتاشا ثم اختفى الرأس فى الحال .

وشرع الرجل الخفى يتسلق أنبوب الماء بالطريقة التى وصفها بوريل قبلا .

وعندئذ ارتفع صراخ ماترينا بتروفنا .

كانت تصيح باللغة الروسية .. وفهم بوريل أنها تستغيث بكوبريان وتطلب الى رجاله أن يطلقوا النار .

ولاحظ بوريل أن الرجل قد تردد فى منتصف الطريق بين أن يواصل الصعود . وبين أن يهبط . ورأى أن رجال كوبريان قد خرجوا من مكامنهم . وراحوا يثبون نحو الحديقة .. فاسرع بدوره الى الطابق الأول ليتلقى غريمه هناك ..

ولم يكد يصل حتى رأى ماترينا تطل من احدى النوافذ وتطلق مسدسا فى يدها .

انتزع منها المسدس وهو يصيح :

- لا تقتليه . نريد أن نأخذه حيا .

وأسرع نحو غرفة ناتاشا . فوجد بابها مغلقا .

انتقل الى الغرفة المجاورة . ورأى ناتاشا تطل من النافذة

وتوثب باهتمام شديد مراحل النضال بين الزائر الخفي ورجال البوليس .

وكان احد رجال كوبريان قد أطلق الرصاص على الرجل فأخطأه وقابله هذا بالمثل وأصابه بجرح في ساعده .

ورأى بوريل ان الرجل بدا يهبط بسرعة . فوثب الى الخارج ليقطع عليه سبيل الفرار .

وفي هذه الأثناء دخلت ماتريونا بتروفنا الغرفة الصغيرة . ورأت ناتاشا تطل من النافذة فانطبقت على عنقها كاللبؤة الثائرة . وسقطت الاثنتان على الارض ، وركعت المرأة على صدر الفتاة وهي ترغي وتزبد واوشكت أن تغرز اظافرها في عنق ناتاشا . لولا أنها رأت الجنرال تريباسوف قد انتصب امامها فجأة كأنه شبح برز من الظلام .

ذعرت ماتريونا بتروفنا .

بأي معجزة استطاع فيودور تريباسوف ان ينهض من مقعده ويسير على قدميه ؟

كان الشيخ يرتجف حنقا وغضبا .

صاح بصوت كالرعد : ماذا جرى ؟

فالقت ماتريونا بنفسها تحت قدميه .. ورسمت علامة الصليب على صدرها كما لو كانت قد رأت ميتا يخرج من القبر .. وقالت وهي تشير باصبعها الى ناتاشا :

ـ حدث انهم ارادوا مرة أخرى أن يقتلوك يا فيودور .. والشخص الذي فتح النافذة لاعدائك ليلة أمس ، وفتحها الليلة هو ابنتك .

فاستند الجنرال الى الجدار وراح ينقل البصر بين زوجته وابنته .

ثم قال للاولى : انك انت التي تكذبين .

فصاحت ماتريونا :

ـ لو كتمت عنك الحقيقة لكنت قاتلتك .. ولكنني لن احجب عنك شيئا من الالم بكلمة انطق بها . وبحسبك أن تسأل ابنتك . فاذا اجابت بانني لم اذكر غير الحقيقة فاقتلني كما تقتل كلبا .. أواه ! كم أود أن أموت .. اقتلني .

فدفعها الجنرال بقدمه كما يدفع شيئا دنسا .. فنهضت على ركبتيها .. وراحت تجيل حولها بصرا تائها .

كانت تبحث عن المسدس الذي انتزعه بوريل منها . ولو انها وجدته لما ترددت لحظة واحدة في أن تطلق منه رصاصة على قلبها لان فيودور لم يصدقها ولانها جلبت على نفسها سخطه واحتقاره .

قال الجنرال لابنته بصوت هادىء :

ـ انهضي ياناتاشا ..

فجففت الفتاة دموعها ، وأدركت فى الحال أن أباها لم يصدق التهمة التى وجهت اليها .

نهضت واقفة ، واقتربت منه ، وركعت أمامه ، ورفعت يديه الى شفتيها .

وفى هذه اللحظة . دخل كوبريان وفى أثره بوريل . فنهضت ماتريتا فى الحال ونظرت اليهما متسائلة ، فقال كوبريان بصوت رهيب :

- لقد قتلناه .

وسمعت تاتاشا هاتين الكلمتين : فافلتت من بين شفتيها صيحة ذعر .

وهتفت ماتريتا : من هو ! من هو ؟!

فاقترب كوبريان من الجنرال وتناول يده . وشد عليها وهو يقول :

- يا سيدى الجنرال .. كان هناك رجل جعل من نفسه أداة فى أيدى أعدائك وقد قتلنا هذا الرجل . فسأله الجنرال هل هو ممن أعرفهم ؟

- انه كان من أصدقائك . وكنت تعامله كأنه ابنك .

- اسمه .

- سل ابنتك عن اسمه .

فتحول الجنرال الى تاتاشا . وكانت هذه تنظر الى وجه كوبريان بحدة ، كأنها تريد أن تتبين مبلغ كلامه من الصحة .

قال الجنرال :

- هل تعرفين الرجل الذى أراد قتلى يا تاتاشا ؟

- كلا .. أنا لا أعرف أحدا ممن يريدون قتلك .

فقال كوبريان بصوت أجش :

- انك تعرفين هذا الرجل يا آنسة .. وقد فتحت له النافذة ، هذه الليلة وليلة أمس ومرارا قبل ذلك .

فصاح الجنرال :

- أجيبى يا تاتاشا .. أجيبى بنعم .. أو لا .. هل مكنت أحدا من دخول هذا المنزل ليلا ؟! .

- نعم يا أبى .

فزمجر تريباسوف كالأسد : ما اسمه ؟

فاومأت برأسها نحو كوبريان وأجابت بصوت أجش :

- يستطيع هذا السيد أن يذكر اسمه .. لماذا لا ينطق باسمه مادام يعرفه .. ومادام قد قتله ؟

فقال الجنرال :

- واذا كان هذا الرجل لم يمت .. اذا كان قد تمكن من الفرار ، فهل تذكرين لي اسمه ؟

- لا استطيع يا أبي .

- واذا توسلت اليك ؟

- تستطيع ان تقتلني يا أبي . ولكني لن اذكر اسمه .

- أيتها التعسة !

ورفع عصاه في يده ، وخيل للناظرين انه سيهوى بها على راسها .

ولكن الفتاة لم تحاول اجتناب العصا بل قالت وهي تنظر الى كوبريان نظرة فوز :

- انه لم يمت : لو انك اخذته حيا او ميتا لاستطعت ان تذكر اسمه .

اقترب منها كوبريان ، والقى بيده على كتفها وقال :

- انه ميشيل كورساكوف .

لم يصدق الجنرال اذنيه ، ونظر الى ابنته فرآها تهم الفرار الى غرفتها وهي ممتقعة اللون ، مضعضعة الحواس لكنه استوقفها بنظرة سريعة ، وصاح :

- ناتاشا ، اذكري لي لماذا كان ميشيل يدخل هذا المنزل ت جنح الظلام ؟

فلزمت ناتاشا الصمت ، وصاحت ماتريتا :

- لماذا ؟ لكي يدس لك السم .

ورات ماتريتا من تمادي ناتاشا ما شجعها ، فراحت تسرد لى زوجها ما لم يكن يعلمه من حوادث الليلة السابقة ، واتمت حديثها بأن أشارت الى بوريل وهتفت :

- هو ذا الذي أنقذ حياتك يا فيودور .

وكان بوريل في أثناء ذلك يرقب ناتاشا عن كثب فرآها مرارا وهي تهم بمقاطعة ماتريتا ، ولاحظ ان دهشتها لوقائع الحادث لا تقل عن دهشة الجنرال ، فلما فرغت ماتريتا من كلامها ، وهتفت « هو ذا الذي أنقذ حيـــاتك يا فيودور » تحولت ناتاشا نحو بوريل ، والهبته بنظرة نارية وصاحت :

- بل هو ذا الذي كان سببا في قتل رجل برىء !

ثم نظرت الى ابيها واستطردت :

- ابي .. ابي .. دعني اقول لك ان ميشـــــــيل كورساكوف الذي دخل هذا المنزل خلسة اكثر من مرة ، وحاول دخوله الليلة ، هو غير الرجل الذي جاءك بالامس ودس لك السم .

فامتقع وجه بوريل ولكنه اجاب :

- بل هو بعينه يا آنسة .

وقال كوبريان : يضاف الى ذلك اننا وجدنا الدليل على وجود صلة بين ميشيل كورساكوف والفرموزيين .

هذا الرجل الذى لم تزعجه قنابل الفوضويين وسمومـ
هذا الرجل الذى لم يقم وزنا للمؤامرات التى تحاك حول
والتهديدات التى تترى عليه .. هذا الطاغية الجبار ، بـ
مذبحة موسكو .. قد هدمه خاطر واحد . هدمه مجرد التفك
فى أن ابنته التى كان لها بمثابة الاب والام فى وقت واحد
ابنته التى أحبها كما لم يحب أحدا ســـواها ، تآمرت
المتآمرين ضده . وذللت لهم سبيل الفتك به وهو نائم لايسـ
عن نفسه دفاعا .

اقترب كوبريان من الوالد التعس وقال له :

– اصغ الى يا فيودور تريباسوف .. ان الذى يد
هو صديقك قبل أن يكون مدير البوليس .. فاذا
ابنتك أمامنا نحن أصدقاءك وأقدر الناس على كتما
أقول اذا لم تسأل ابنتك عن سر سلوكها وتصرفاتها ، وا
لم تطلب اليها ايضاح الغرض من مقابلاتها الليلية مع ميتيـ
كورساكوف ، واذا لم تتقدم الينا الآنسة ناتاشا بجـــوا
مقنع ، فانى أضطر الى الانسحاب فى الحال والالتجاء ا
وسائل أخرى تكفل ايضاح الحقيقة .

نعم ان كل ما أرجوه الان هو أن أيحبرنى من أن ابنتك
تكن الد أعدائك .

تنهد تريباسوف ..

نعم .. ان كوبريان على حق .. يجب ان يعرف الحقيقة .

ورفع عينيه الى ناتاشا ، فصرخت الفتاة :

– ليس عندى ما أقوله .

فأشار كوبريان بسبابته نحوها وهتف :

– ما هى شريكة أعدائك يا سيدى الجنرال .

فأفلتت من شفتى الفتاة صيحة كصيحة الحيوان الجريح ،
وارتمت تحت قدمى ابيها ، وأحاطت ساقيه بذراعيهـــــا
...ـت :

... .. يا أبى العزيز .. لا تطالبنى بما يستحيل على
.. صدقنى يا أبى . ولا تصدق هؤلاء الناس ..
استطيع أن أقول شيئا .. لا أستطيع .. اقســـم
...ك ..

انظر الى عينى يا أبى .. انظر الى عينى .. ألا ترى
فيهما اننى أحبك .. يا أبى العزيز ..

وهنا انحدرت الدموع من عينى الجنـــدى الشيخ ..
ورفع رأس ابنته بين كفيه ، ونظر فى عينيها ، ثم سألهـــا
بصوت متهدج :

– ألا تســـــتطيعين الآن أن توحى لى بشىء ؟ اذن فتى
تستطيعين ؟

فحولت الفتاة عينيها الى النافذة ، ونظرت نحو السماء
وقالت :

- الله يعلم اننى لن أستطيع أبدا ..

وهنا لم تتمالك عاتريتا وكوبريان وبوريل من الارتعاد ، فقد نطقت الفتاة جملتها الاخيرة بلهجة يمتزج فيها الاخلاص واليأس :

اما الجنرال فانه تأمل وجه ابنته طويلا .. ثم أنهضها وضمها الى صدره .



الفصل التاسع - حديث

ما كاد كوبريان وبوريل ينصرفان من منزل الجنرال حتى لحق بأولهما أحد ضباط البوليس .. ودار بينهما حديث طويل ، لم يتبين منه بوريل كلمة واحدة ، لانه دار بصوت خافت وباللغة الروسية .

ولما فرغ كوبريان من ذلك الحديث .. ولحق ببوريل كانت على وجهه علامات الحيرة .

وواصل الرجلان السير فى صمت محزن ... الى ان قال بوريل فجأة :

- هل اتخذت الاجراءات الخاصة بجواز سفرى ؟

- اما زلت مصرا على السفر غدا ؟

- نعم .. الا اذا حدث جديد .

- وهل تجد فى استطاعتك الان ان تميط اللثام عن اسرار هذه القضية ؟

- ان موعدنا غدا كما اتفقنا .

- يجب ان أقدم تقريرى الى جلالة القيصر غدا .. وأنا واثق ان جلالته سيصدر الى امره فى الحال بالقاء القبض على قاتلنا .

- ولكنك لا تملك أى دليل مادى ضدها .

- ان القرائن كثيرة .

- القرائن شيء .. والادلة المحسوسة شيء آخر .. ولكنى ارجو ان اضع بين يديك غدا الادلة المادية على براءة الفتاة ..

فنظر اليه كوبريان فى ارتياب وقال : أصغ الى يا مسيو بوريل . ان القضية واضحة جلية . وقد استغرقت من وقتنا ومن اهتمام جلالة القيصر أكثر مما يجب . وقد عبر جلالته صباح اليوم عن ضجره وقلقه . وفى نية جلالته أن يأخذ بالشدة كل شخص كان له أصبع فى المؤامرات التى دبرت ضد الجنرال .. حتى ولو كان هذا الشخص هو ابنة الجنرال ... فمن العبث اذن أن تحاول تبرئة هذه الفتاة . وفى اعتقادى انك تزيد مركزك سوءا اذا أصررت على مثل هذه المحاولات .

- أزيد مركزى سوءا ؟ اننى لا أفهمك يا مسيو كوبريان .

- ربما استطعت أن أزيد الامر ايضاحا غدا . وبحسبى اليوم ان اقول لك فى صراحة ان مركزك أصبح مريبا .

- كيف .. هل تعتقد ... ؟ .

- أنا لا أعتقد شيئا .. ولكنى أعبر لك فقط عن شعور جلالة القيصر نحوك .

- شعور جلالة القيصر نحوى ! ولكنى لم أقابل جلالته غير مرة واحدة . وكانت المقابلة ودية للغاية .

- هذا صحيح . ولكنه افتقد بالأمس جميع مجوهراته .

- بتفتيش أمتعتك فى الفندق .

- يالشيطان !!

- وأمرنى بارسال جواز سفرك اليه شخصيا .

- اذن فلن أستطيع السفر غدا ؟

- اعتقد أن هناك مفاوضات بين الحكومة الفرنسية والحكومة الروسية بشأن تسليم ارسين لوبين .

- وهل يعتقد جلالته اننى أرسين لوبين .

- ان جلالته لا يعتقد ذلك فقط .. بل يعتقد أيضا انك صلة بالفوضويين وانك تعمل على تضليل العدالة فى قضية الجنرال .

فقهقه بوريل ضاحكا وقال :

- يظهر ان جلالة القيصر قد تلقى على يديك درسا فى تحقيق القضايا . فهو مثلك يجزم بالادانة .. دون دليل .

- بل ان تحت يدى جلالته ادلة قاطعة .. أهمها رزمة من رسائل الفوضويين وجدناها فى حقيبتك .

وجمد بوريل فى مكانه لحظة .. ثم استغرق فى الضحك وهتف :

- اذن قد فتشتم حقيبتى حقا .. ولماذا لم يصدر جلالته أمرا بالقاء القبض على ؟

- قلت لك ان الحكومة الروسية تنتظر تعليمات بوليس باريس .

أقدام على مقربة منه • فنظر خلفه • ورأى الجنرال مقبلا • وهو يسير على قدميه •• متكئا على ساعد ناتاشا •

كان الجنرال مشرق الوجه خلافا لما كان بوريل يتوقع •• أما ناتاشا • فكانت لا تزال على سحنتها مسحة من القلق والامتقاع •

وقد خيل لبوريل وهو ينقل البصر بين أفراد هذه الاسرة الصغيرة انهم اتفقوا فيما بينهم على نسيان الماضى •

هتف الجنرال :

- أهذا أنت يا عزيزى بوريل •• انهم لن ينالونى الآن •• فان فى استطاعتى أن أسير على قدمى •• أنظر •

واخذ يسير فى المقصورة جيئة وذهابا دون أن يستند الى شىء ثم ارتمى على مقعد واستطرد :

- نعم • انهم لن ينالونى بعد الان ولم أعد بحاجة الى من يتولى حراستى •

اننى أدعوك الى تناول كأس من الفودكا نخب صحتى • أين الفودكا ياماتريتا يتروفنا •• أين الفودكا ياناتاشا ؟

وقد لاحظ بوريل أن الجنرال انما يقصد بالحركة والكلام أن يتجنب التفكير •• ولاحظ كذلك أنه لا ينظر الى وجه ابنته • حتى وهو يتحدث اليها •

أطرق بوريل برأسه فى حزن • وقالت ماتريتا :

- لا شك أن أورميلوف قد نسى احضار « الفودكا » وهمت بأن تنهض • فقالت ناتاشا وهى تبتعد :

- ابقى أنت يا أماه • سأذهب لاحضار الفودكا •

فصاح بوريل :

- لا تزعجى نفسك يا آنسة •• انى أعرف موضع كل شىء فى هذا المنزل •

والحق بها • فلم تتريث الفتاة • بل واصلت السير وهكذا وصل الاثنان الى الغرفة الصغيرة التى تحفظ ماتريتا فيها زجاجات الشراب •

وكان ذلك كل ما يريده بوريل •

كان يريد أن ينفرد بناتاشا • ولو دقيقة واحدة •

امسك بيدها • فجمدت فى مكانها • ووقف الاثنان وجها لوجه •

قال لها :

- أرى أنك تريدين التحدث الى •• بدليل أنك لم تتجنبى الانفراد بى •

فظهرت على وجهها علامات التردد •• ثم قالت فجأة :

- نعم • أردت فقط أن أقول لك • ارحل عن هذه البلاد واسرع ما يمكنك اذا كنت تريد أن تعود الى وطنك ورأسك بين كتفيك •

نعم يا سيادى عجل بالرحيل • واذا كنت قد اكتشفت أو استنتجت شيئا •• فحاول أن تنساه • والا هلكت •

فنظر فى عينيها الصافيتين ثم قال على حين غرة :

- اصغى الى يا آنسة • انك ستكونين بعد الآن تحت اشد انواع الرقابة •• فمن ذا الذى سيحل محل ميشيل كورساكوف ؟

- اصمت أيها التعس •• اصمت •

— انني على استعداد لأن أحل محله .

وكان صوته ينم عن الاخلاص . فاغرورقت عيناها بالدموع في الحال وغمغمت :

— انك رجل كريم .

وغلبها الانفعال . فصمتت لحظة ثم استطردت :

— لو انهم علموا بما تعرضه على الآن لقتلوك غدا . فكن على حذر ولا تحاول ان تقابلني أو تتحدث الى . الآن يجب أن تعود الى المقصورة . انك مكثت هنا طويلا .

— كلمة أخرى يا آنسة . كلمة واحدة . هل تأكدت الآن أن ميشيل كورساكوف هو الذى حاول تسميم والدك ؟

فهزت رأسها وأجابت :

— ليتني استطيع أن أقطع الشك باليقين في ذلك . ولكن ياسيو بوريل ألا يمكن أن يكون الشخص الذى حاول تسميم أبي قد دخل من طريق آخر غير طريق النافذة ؟

— كلا .. كلا .. هذا مستحيل .

— انهم لا يعرفون المستحيل .

واشاحت بوجهها . ثم أردفت بصـــوت يدل على قلة الاكتراث :

— خذ .. خذ .. يجب أن تحمل زجاجات الفودكا ما دمت قد جئت الى هنا .

وخرج الاثنان معا .. حاملين زجاجات الفودكا .

وتناول الجنرال أحد الاقداح التى ملأتها ناتاشا بالفودكا. وقال :

— يخيل الى أن كوبريان قد تأخر عن موعده .

ونظر في ساعته واستطرد :

— الساعة الآن التاسعة الا دقيقتين . لقد وعدني بالحضور في الساعة الثامنة والنصف لتناول طعام الافطار معنا .

فقال بوريل وهو يتأمل ساعة الجنرال .

— انها ساعة ثمينة تعتبر آية في فن الصياغة .

— لقد ورثتها عن أبي . وهي تبين حركة الشمس والقمر والفصول وتدق بصوت مسموع كساعات الجدران . لنبدأ نحن بتناول الفودكا حتى يحضر كوبريان .

فقال بوريل وهو يرفع الكأس الى شفتيه :

— نخب صحتك يا سيدي الجنرال .

ورفع الجميع كؤوسهم واكتفى كل من بوريل وناتاشا بأن بللا شفتيهما . اما الجنرال وماتريونا فقد ازدردا محتـــويات كأسيهما :

على أن الجنرال ما كاد يرفع الكأس عن شفتيه حتى سب وشم وبصق بعض ما ازدرده .

وفعلت ماتريونا فعله .. وحملقت في وجه زوجها في ذعر . وهتف الجنرال :

— ماذا وضعوا في (الفودكا) ؟

واحتقن الدم في وجه الجنرال وزوجته فجأة .. وخيل لبوريل أن عيونهما توشك أن تثب من محاجرها . وصـاح الجنرال :

— لقد سمموني .. أشعر كأن النار تلهب حنجرتي .

أما ماتريونا بتروفنا . فانها وثبت من مكانها .. وفرت من المقصورة وهي تصرخ بصوت المختنق : يا الهي .. يا الهي !

وعادت ماتريونا بعد لحظة وفي يدها قنينة صغيرة سكبت محتوياتها في قدحي ماء . وقدمت أحد القدحين الى زوجها وهي تصيح :

ـ تجرع هذا يا فيودور .. تجرع هذا .

وازدردت محتويات القدح الآخر .

وكانت ناتاشا في هذه الاثناء تبذل قصارى جهدها لاسعاف أبيها .

وفي هذه اللحظة .. اقبل كوبريان .. وسمع الصراخ فخف لنجدة الجنرال . وتعاون مع أوزميلوف على نقله الى فراشه .

وأسرعت ناتاشا وطلبت الى أحد رجال الشرطة أن يدعو طبيبا على عجل .

وعندما عاد كوبريان ليحمل ماتريونا الى فراشها .. لم يجد اثرا لبوريل أو الكؤوس الاربع .. التي كان بها شراب (الفودكا) .

الفصل الحادى عشر ـ مع القيصر

ـ أين كنت ؟

ـ كنت أتنزه على ضفاف نهر (نيفــــا) .. وأحاسب نفسي ..

ـ يا الهي .. لقد خفت ألا تصل في الوقت المناسب لمقابلة القيصر .

ـ اطمئن .. وأنت ماذا فعلت ؟ هــل ألقيت القبض على (ناتاشا) ؟

ـ طبعا . هل ثمة شك بعد حادث هذا الصباح في أنها حاولت تسميم أبيها للمرة الثانية ؟ ولكنك لم تسألني عن حال الجنرال وزوجته ؟

فابتسم بوريل وأجاب : أنا واثق أنهما بخير حال فدهش كوبريان وقال : وكيف علمت ؟

ـ من كؤوس الفودكا .

وارتسمت على شفتي بوريل ابتسامة غامضة ، فاطرق كوبريان برأسه لحظة ثم نظر في ساعته وقال :

ـ لم يبق على الموعد الذي حدده جلالة القيصر لمقــابلتك غير بضع دقائق ، فهلم بنا .

وغادر الرجلان ادارة البوليس ، واستقلا احدى المركبات، وامر كوبريان السائق بان ينطلق بهما الى القصر الامبراطوري. وحاول كوبريان في أثناء الطريق أن يستدرج بوريل الى الكلام فقال له :

ان جلالة القيصر حانق عليك .. فكن على حذر ، انه ل

يوافق على مقابلتك الا عندما ذكرت له أنك جردت الفوضويين من أموالهم وستقدمها الى جلالته .

- انني عند وعدي لجلالته .

- هل جئت معك بهذه الأموال ؟

- طبعا .

فصعده كوبريان بنظرة فاحصة . وسأله :

- كم تبلغ ؟ ان الرأي السائد في دوائر البـــــلاط أن الفوضويين يملكون ثروة طائلة لا تقل عن عشرة ملايين روبل؟

- ماذا تقول ؟ عشرة ملايين روبل ؟ انك تبالغ يا مسيو كوبريان . فانا لم أجد أكثر من مائة روبل .

فصاح كوبريان بصوت المختنق :

- مائة روبل ؟ هل جننت يا هذا . أتقول للقيصر كذبا . .

- أؤكد لك انني أحمل في جيبي كل أموال الفوضويين . . وهي لا تتجاوز مائة روبل .

- أيها الشقي . أيها المحتال . أتسخر مني ؟ كيف تزعم أنك استوليت على كل ثروة الفوضويين . وأن هذه الثروة لا تتجاوز مائة روبل .

يا الهي . ماذا يقول جلالة القيصر ؟ وكيف يصـــــدقني بعد الآن ؟

- سوف يعتقد جلالة القيصر بعد أن أتشرف بمقابلته . . أنك أصلح رجل في روسيا يتولى ادارة البوليس . . وفقط أحب أن أهمس في أذنك بكلمة .

فحنى كوبريان رأسه وهو مشتت البال . . لا يدري ماهو

فاعل فهمس بوريل في أذنه :

- يجب أن تطلق سراح ناتاشا بأسرع ما يمكن !

فصاح كوبريان في غضب :

- تبحك الله . ألا تكف عن هذه السخرية .

- وكلمة أخرى أحب أن تسمعها لكي يعتقد جلالة القيصر أنك رجل بعيد النظر تعرف كيف تحل القضايا العويصـــة وتسهر على حياة خدمة المخلصين .

فانحنى كوبريان رأسه مرة أخـــرى . فهمس بوريل في أذنه :

- يجب أن تلقي القبض على ماتريننا بتروفنا بأسرع ما يمكن !

ولولا أن المركبة وقفت بباب القصر في تلك اللحظة لما تردد كوبريان في الانقضاض على عنق ذلك الشيطان الساخر .

وبعد بضع دقائق . . كان جوستاف بوريل جالسا في غرفة الانتظار المجاورة لمكتب القيصر .

كان يعرف تلك الغرفة حق المعرفة منذ الزيارة الأولى .

أما كوبريان . . فانه راح يدور حول الغرفة في قلق . . وهو مقطب الحاجبين . . وقد أدرك بوريل سر قلقـــه . . فابتسم .

كان بدوره قد قضى يوما من أتعس أيام حياته وقد عصر ذهنه في ذلك اليوم كما لم يفعل في حياته الحافلة بالمغامرات

نعم . انه قضى ذلك اليوم وهو يسائل نفسه : ترى هل كان ميشيل كورساكوف بريئا حقا وكان الذي دس السم للجنرال هو شخص آخر سواه !

والا فما معنى هذه المحاولة الثانية لتسميم الجنرال وزوجته ؟

كان بوريل يفكر في كل هذا حين اقترب منه كبير الأمناء وقال له بصوت خافت :

ـ ان جلالة القيصر ليس الآن في أفضل حالاته النفسية . ويحسن أن تختصر المقابلة ما استطعت الى ذلك سبيلا ، لأن جلالته قد ضرب موعدا في منتصف الساعة السادسة لمقابلة سفير ألمانيا . ها هو سعادة السفير قد أقبل .

وأومأ كبير الأمناء الى رجل متوسط القامة دخل الغرفة في تلك اللحظة وخلع معطفه وثبته في مكان خاص وجلس في أحد المقاعد .

وفي تلك اللحظة دق جرس في الغرفة ، فأسرع كبير الأمناء الى مكتب القيصر وغاب بضع ثوان . ثم عاد وأومأ الى بوريل أن يتبعه .

فنهض بوريل واقفا ، وخلع معطفه . ووضعه بجانب معطف السفير الألماني . ثم خلع قبعته . ودخل مكتب القيصر .

كانت غرفة المكتب مؤثثة ببساطة . فهي لا تحوي أكثر من طاولة للكتابة ودولاب للكتب وبضعة مقاعد . وقد زينت جدرانها بصورة القيصرة وأولادها .

وقد كانت نظرة واحدة الى وجه القيصر كافية لأن تشعر بوريل بأنه ليس في أحسن حالاته .

أشعل القيصر لفافة تبغ وقال وهو يصعد بوريل بعينيه

في نظراتهما شيء كثير من الفضول .

ـ يجب أن أقول لك يا سيدي انني غير راض عن سلوكك ، وانك لو كنت من رعاياي لبعثت بك في رحلة الى سيبريا .

فقال بوريل وهو يحني قامته بخضوع :

ـ انني عانيت في هذه الايام يا مولاي أكثر مما يعاني نزلاء المنفى .

ـ أرجو الا تقاطعني يا سيدي ، والا تتكلم الا اذا سألتك .

ـ عفوا يا مولاي .

ـ يجب ألا تتوهم انك استطعت أن تخدعني بالسبب الذي اخترعته لكي أسمح لك بمقابلتي . ان حيلك ومناوراتك اذا كانت تجوز على مواطنيك في فرنسا فانها لا تجوز علينا .

ـ مولاي .

ـ فانت قد دخلت هذه البلاد منتحلا شخصية غير شخصيتك الحقيقية ومتظاهرا بانك من رجال البوليس في حين انك ...

ـ انني يا مولاي ضحية مؤامرة دبرها الفوضيون ضدي لكي يجلبوا على سخط جلالتكم .

ـ هل تعني انك لست المدعو ارسين لوبين ؟!

فأحنى بوريل قامته باحترام وأجاب :

ـ انني أتشرف بان أكون خادمكم جوستاف بوريل مفتش البوليس الى أن تثبت المخابرات مع الحكومة الفرنسية غير ذلك .

ـ لقد شكا الينا كوبريان . مدير شرطتنا من انك بذلت

قصارى جهدك لعرقلة أعماله وتعطيل سير العدالة . فبدأت بتسريح رجاله . وبذلك منعته من أن يحول بين اتصال ابنة الجنرال تريباسوف بالمجرمين الذين يحاولون اغتيـــاله . وكادت تقع جريمة قتله بالسم ، لولا عناية الله بهذا الخادم الأمين .

ولما اراد القبض على ناتاشا أوهمته بانها بريئة ، ووعدته بان تقدم له المجرم الحقيقي قبل انقضاء أربع وعشرين ساعة وفي خلال هذه الســاعات الاربع والعشرين . وقعت المحاولة الثانية ضد تريباسوف المسكين .

انك وعدتني يوما بانقاذ حياة الجنرال تريباســـوف . ولكنك كنت عونا للأشقياء وكان سلوكك أشد تعاسـ‍ـ‍ـة وفظاعة من سلوك ناتاشا فيودور ؟

وصمت القيصر . ونظر الى بوريل بعينين ثاقبتين . فلم يغض بوريل الطرف وقال القيصر : بماذا تجيب ؟ تكلم .

– انني وعدت جلالتكم بانقاذ حياة الجنرال تريباسوف . وقد أنقذتها . فهو الآن في مأمن من كل خطر .

واذا سمحتم لي جلالتكم فانني أنتهز هذه الفرصة لأقول انه لا يوجد في العالم كله فتاة تخلص لابيها . وتفتــديه بحياتها وهي راضية ناعمة البال ، كما تخلص ناتاشـــا لابيها .

– كن على حذر يا سيدي ولا ترسل الكلام على عواهنه ، لانني اعتزمت بدراسة هذه القضية شخصيا لاتصالهـــا بحياة ضابط عظيم من أخلص الجنود لعرشي . فهل لديك الدليل على صحة ما تقول ؟

– نعم يا مولاي .

– وانا أملك الدليل على أن ناتاشا فيودور هي مجـــرمة تعسة .

– كلا يا مولاي .

فنهض القيصر واقفا وقد احمر وجهه غضبا ولكنه سرعان ما ملك نفسه .. ففتح احد أدراج مكتبـــه ، وأخرج منه حزمة من الأوراق .. وقال :

– ها هي الأدلة ، وقد وجدت في حقيبتك بالفندق الذي تقيم فيه ، وقد ظن أولا أنها دليل على اتصالك بالفوضويين .. ولكني اعتزمت بفحصها ودراستها بنفسي .

فانحنى بوريل فوق حزمة الأوراق ونظر اليها بامعان .

قال القيصر :

– انك لا تفهم اللغة الروسية يا سيدي . فهـــل تأمر بترجمة هذه الأوراق لتعرف مضمونها ؟

انها تتضمن رسائل متبادلة بين ناتاشا فيودور واللجنة المركزية للثوار . ويفهم من هذه الرسائل أن ابنة الجنرال كانت على تمام الاتفاق مع أعداء أبيها لتنفيذ خططهم الذميمة .

– أؤكد لمولاي أن هذا مستحيل .

– أنت رجل عنيد . سأتلو عليك مضمون هذه الأوراق

– لا فائدة من ذلك يا مولاي .. انني كنت أول من حصل على هذه الوثائق . ولم أتمكن من معرفة مضمونها لســوء الحظ . لأنها أخذت من حقيبتي بأمر مولاي . ولكني واثق يا مولاي أن ناتاشا فيودور لم تتآمر قط مع أعداء أبيهـــا

لقتله . وأن هذه الوثائق اذا كانت تتضمن أمرا خطيرا فمضمونها لا يعدو أن يكون مشروع مؤامرة . وأن من دواعي دهشتي حقا أن يكون أولئك الفوضويون الاشقياء قد سجلوا على الورق أن ناتاشا قد اتفقت معهم على تسميم أبيها .

– الواقع أنهم لم يسجلوا ذلك في هذه الوثائق . لأن تسجيل هذه الأمور على الورق يتنافى مع أبسط مبادىء الحنكة والحذر .

بيد ان ذلك لا يمنع من القول بأن ناتاشا فيودور كانت على اتفاق مع الفوضويين .

– مولاي .. اذا كانت ناتاشا قد اتفقت مع الفوضويين فليس ذلك لكي تقتل أباها .. وانما لتنقذه .. وهذه الاوراق اذا كانت تتضمن مشروع اتفاق .. فهو مشروع اتفاق اوقف المحاولات والتدابير التي يراد بها قتل الجنرال

– ماذا تقول ؟

– انني أقول الحقيقة يا مولاي .

– واين ادلتك ؟ أين براهينك ! أرني ما عندك من الوثائق .

– ليست عندي أوراق أو وثائق يا مولاي ، ولست أملك غير لساني .

مولاي .. قبل أن أميط لجلالتكم اللثام عن سر تتوقف عليه حياة الجنرال تريباسوف أرجو أن يسمح لي مولاي بالقاء بضعة أسئلة .

هل تقيمون جلالتكم كبير وزن لحياة الجنرال تريباسوف؟

– ان الجنرال تريباسوف قد دافع عن عرشي وانقذ الامبراطورية .

– انني أفهم من جواب جلالتكم على سؤالي انكم لا تستكثرون أية تضحية لانقاذ حياة الجنرال ، وانكم على استعداد لشراء حياته .

– آه .. هل يريد أولئك السادة مساومتي ؟ .. انهم بحاجة الى المال بغير شك .. كم يطلبون ثمنا لرأس الجنرال ؟

– مولاي .. اذا كانت هناك اية مساومة من هذا النوع .. فانني لست بالرجل الذي يعرضها على جلالتكم .

على ان الآنسة ناتاشا قد فكرت في مثل هذه المساومة .. وات – وهي الفتاة المخلصة لحبة لأبيها – ان افضل وسيلة لانقاذ الجنرال من المتاعب والمؤامرات والقتل هي أن تبتاع حياته بالمال .. فعرضت على الفوضويين كل ثروتها في مقابل أن يتركوا اباها وشأنه .

– كل ثروتها ؟ ولكنها لا تملك شيئا .

– انها سوف تملك كل ثروة الجنرال بعد وفاته .. وقد بدأت المساومة على أن تتنازل اللجنة المركزية للثوار عن نصف ثروتها يوم يموت ابوها موتة طبيعية .. ولكنها عندما اتصلت بالثوار لابرام هذه الصفقة .. ارغموها تحت تأثير التهديد بالقتل على توقيع صك بالتنازل عن كل ثروتها للفوضويين .

فنهض القيصر واقفا .. وهتف وعلى وجهه علامات الانفعال الشديد :

- كل ثروتها للفوضويين ؟ اذن فقد أصبح أعـــدائى أغنياء :

- مولاى . اننى انهيت الى جلالتكم هذا السر الذى تتوقف عليه حياة الجنرال تريباسوف .. فالفوضويون ســوف لا يتآمرون على حياة الجنرال ، وسوف لا يلحقون به أذى أو ضررا .. طالما أن ثروته لن تعود اليهم الا اذا مات موتة طبيعية .

وها هو الصك يا مولاى .. وها هو مبلغ المائة روبل .

وقدم بوريل الصك والورقة المالية الى القيصر .. فتناول جلالته الصك بلهفة .. وقرأه بامعـــان .. ثم وضعه على مكتبه .. قال بوريل :

- لقد كشفت لمولاى هـــذا السر الخطير من أسرار الفوضويين .. وانى اترك لجلالته حرية التصرف به كمـــا يشاء .. ولكن اذا سمح لى مولاى بابداء رأى ، والرأى الأخير لجلالته ، فاننى أقترح أن ترد ناتاشا هذا الصــــك الى الفوضويين ، وأن يبقى أمر هذه المساومة سرا مكتوما ، ومن المهم كذلك ألا يعلم الجنرال نفسه بهذه المساومة لأنه اذا علم اتخذ الاجراءات لحرمان ابنته من الميراث حتى لا تقع ثروته فى أيدى أعدائه وأعداء عرشكم .

- ولكن كيف علمت كل هذا ؟ واذا كان صحيحـــا ما ذكرت .. فمن ذا الذى حاول اذن أن يســـم الجنرال

وزوجته فى صباح اليوم ؟

- ان ناتاشا ملاك طاهـــر يا مولاى .. قد كتمت سر فضيحتها وأصرت على الكتمـــان رغم كل شىء ورغم كل الشنان .. لأن هذا الكتمان كان جزءا أســـاسيا فى التضحية .

انها كتمت السر وأصرت على الكتمـــان .. وكان فى استطاعتها ان تبرىء نفسها بكلمة واحدة .

وكتمت السر عن خطيبها الذى تحبه والذى توسلت اليه ان يعفيها من وعدها وان يفسخ الخطبة .. حتى لا تزف اليه فقيرة معدمة وهى التى يعتقد فى غناها وواسع ثروتها .

كتمت السر ولا تزال تكتمه وهى فى أعماق السجن .. وسوف تظل تكتمه ولو أرسلت الى المنفى فى سيبريا .

تلك هى الفتاة التى يتوهم كوبريان انها حاولت اليـــوم تسميم ابيها وزوجته .

- ولكن أنت .. كيف وقفت على هذا السر المكنون الذى تعنى صاحبته كل هذه العناية بكتمانه ؟

- كان بحسبى أن انظر فى عينيها يا مولاى .. وأن أرقبها خلسة حين كانت تعتقد أنها فى خلوة . وأن أحدا لا يراها .

كان بحسبى ان أقرأ على وجهها مزيج من الذعر والحب وأن اراها وهى تنظر الى ابيها .

انى وقفت على سرها من مجرد النظر اليها ، ومن بعض فلتات لسانها .

ولماذا قطع الآخرون بادانتها ؟ لأن اتصالها بالفوضويين

أثار فورا فكرة تآمرهم معهم . ولهذا لم يكن متهموها ينظرون الى المسألة الا من وجه واحد .

وقد كنت الوحيد الذي عنى بفحص المشكلة من وجهيها . ولم تدم حيرتي طويلا . لأن مظهر ناتاشا دلني على براءتها . ولأنني كنت أقرأ في عينيها كل معاني الحب والطهر .

استوثقت من أن ناتاشا على اتصال بالفوضويين وادركت انها تتفاوض معهم . وتساومهم على حياة أبيها . فسألت نفسي ماذا تستطيع الفتاة أن تعطي ثمنا لحياة أبيها .

لا شيء طبعا غير الثروة التي ستؤول اليها عند وفاته .

وقد سمعت في أحد الأيام حديثا دار بينها وبين خطيبها بوريس موزاروف . وطرقت أذني من هذا الحديث بعض عبارات عن استحالة عقد الزواج في وقت قريب وعن الفقر الذي يحل بأحد الناس بعد الغنى والرفاهيـــــة . ووجوب العدول عن خطبتها وفهمت أن الاتفاق قد تم على أن يفسخ الشاب الخطبة في ذلك المساء . ولكن الظاهر أن قلبه لم يطاوعه . ولم يحضر في المساء كما وعد الفتاة .

كنت واثقا أن المفاوضات بين ناتاشا ومندوب الفوضويين ستجري في منزل الجنرال نفسه .. وكان من المستحيل أن تجري المفاوضات في أي مكان آخر لسبب معقول هو شعور ناتاشا بوجودها تحت مراقبة رجال كوبريان وشـــــعور ميشيل كورساكوف بأن بوريس يراقبه مراقبة شـــــديدة بدافع الغيرة .

وقد دلتني الآثار التي وجدتها في الليلة التالية لحـــــادث التسمم الأول على أن الشخص الذي دخـــــل المنزل في تلك

الليلة وسكب السم في كأس الجنرال هو بعينه الذي اعتاد دخول المنزل خلسة قبل ذلك .

وقد خطر لي يوميذاك أن اقابل ناتاشا . وأن احذرها من ذلك الوسيط . واضع نفسي في خدمتها واقوم بالوساطة بينها وبين الفوضويين .. ولكن شاءت الاقدار الا اتمكن من الانفراد بها . ثم شاءت الاقدار أن يرتاب كوبريان في حسن نواياي . وأن يذهب ورجاله لحراسة المنزل ، وأن يفتـــك بميشيل وهو يحاول مقابلة ناتاشا .

ـ هل من المعقول أن تكون ناتاشا بريئة كل البراءة من التآمر مع ميشيل ضد أبيها .. وهي التي كانت تفتح له النافذة ليلا .. وقد فتحتها ليلة المحاولة الأولى .

ـ انها تركت النافذة مفتوحة يا مولاي لأنها كانت على موعد معه وقد ذهب ميشيل الى المنزل في تلك الليلة . ولكنه لم يقابل ناتاشا . بل ذهب لقتل أبيها . ووصل الى غرفة الجنرال قبل أن تبدأ ناتاشا مساوماتها معهم . أعني حين وضع القنبلة في آنية الزهور بغرفة الجنرال .

هز القيصر رأسه بالارتياب وقال ببرود :

ـ انك شديد الحماسة للآنسة ناتاشا . ولكني قد أتهمك واصدقك اذا قلت لي لماذا حاولت هذه الفتاة تسميم الجنرال وزوجته بأن دست لهمـــــا في شراب « الفودكا » محلول الزرنيخ .

فأجاب بوريس : نعم يا مولاي . ان السم الذي استخدم في المحاولة الاولى هو محلول الزرنيخ الذي اســـتخدم في المحاولة الثانية .

وقد أثارت هذه المحاولة الثانية ريبتى وشكوكى . لانها قلبت استنتاجاتى واستدلالاتى رأسا على عقب .. وجعلتنى أتوهم أن ميتشيل كورساكوف كان بريئا . ولكنى عندما عصرت فكرى ، تبين لى أن ناتاشا بريئة .

– وكيف ذلك ؟

– كان حول المائدة عندما وقع الحادث اربعة أشخاص .. هم الجنرال وزوجته .. والآنسة ناتاشا وخادمكم الماثل امامكم . وقد أصيب بالتسمم اثنان فقط من الاربعة .

ومن البديهى أن الجنرال لم يشأ تسميم نفسه .. وأن زوجته لم تشأ تسميم نفسها .. وانى لا أريد تسميم أحد .. فلم يبق اذن الا أن تكون ناتاشا هى التى وضعت السم .

وقد حملت الكؤوس الاربع عقب الحادث مباشرة الى كيميائى من أبرع المشتغلين بالكيمياء فى هذه المدينة : فاثبت التحليل وجود محلول الزرنيخ فى كأسين منها . وقد كان محلول الزرنيخ موجودا عند ماتريتا بتروفنا منذ الحادث الاول . ومن المحتمل ان تكون قد احتفظت بجانب منه . ولكنى لم أفطن الى ذلك بادىء ذى بدء وانما فطنت اليه فقط عندما تذكرت دقات ساعة الجنرال .

تناول الجنرال كأسه قبل الساعة التاسعة بدقيقتين .. وفى الساعة التاسعة تماما : كانت ماتريتا بتروفنا واقفة أمامه .. وفى يدها السائل المقىء .

– وماذا فهمت من ذلك ؟

– ان دولاب الأدوية والعقاقير فى منزل الجنرال موضوع فى الطابق الأول .. ودقيقتان مدة لا تكفى سيدة بدينة مثل

ماتريتا بتروفنا لكى تصعد الى الطابق الاول ، وتفتح دولاب العقاقير الطبية .. ثم تهبط السلم وتصل الى المقصورة .

ففتح القيصر عينيه فى دهشة وقال : هذا صحيح ؟ ومعنى ذلك أنها أخذت هذه المادة واحتفظت بها معها قبل حدوث التسمم .

– يا الله !

– واذن فقد كذبت ماتريتا . ودبرت حادث التسمم ولكن دون أن تنوى القتل . فسكبت قطرة من السم قطرة واحدة فى كل من الكأسين .

فهتف القيصر . هذا سخيف . ولكن ماذا كان غرضها من ذلك ؟

– كان غرضها يا مولاى أن تتجنب وقوع جريمة حقيقية . كان غرضها أن تعمل على ابعاد ناتاشا من المنزل الى الأبد . لاعتقادها أن الفتاة لا تتورع عن ارتكاب أفظع الجرائم . لم تكن هناك أية قوة تستطيع اقناع ماتريتا بتروفنا بأن ناتاشا بريئة من تهمة الاشتراك مع ميتشيل كورساكوف فى محاولة تسمم الجنرال .

وقد أدهشها وأزعجها ورابها ما رأت من استعداد زوجها للصفح عن ناتاشا ، فاصطنعت هذه الجريمة لتبعد الفتاة .

– هل تعتقد أن ماتريتا بتروفنا تعترف بذنبها اذا واجهناها بهذه الحقائق ؟

– أنا واثق من ذلك يا مولاى .

ومد القيصر يده . ليقرع الجرس . فهتف بوريل :

– لى رجاء يا مولاى . هو أن تتكرم باعفائى من رؤية هذ

السيدة الباسلة فى موقف الاتهام . ثم لى سؤال آخر . هو ماذا تنوى أن تفعل يا مولاى ؟

فظهر على القيصر أنه لم يسمع جيدا أو لم يفهم جيدا . فاستدرك بوريل قائلا :

ـ عفوا يا مولاى . اننى بسطت على مسامع جلالتكم نتيجة أعمالى خلال هذه الأيام . ووضعت بين أيديكم مفتاح السر الذى تتوقف عليه حياة الجنرال تريباسوف . وهو هذا الصك . فهل تنوون جلالتكم تحامل هذا السر وكتمانه ؟

ليس الأمر قاصرا على اطلاق سراح ناتاشا فحسب ولكنه يجب أن يتعدى ذلك الى اطلاق يدها ومنحها حرية العمل لانقاذ حياة أبيها .

فماذا تنوون جلالتكم ؟ هذه هى أول مرة استجوب فيها يا سيدى .

ـ عفوا يا مولاى . ولكنها ستكون كذلك الأخيرة . التى ألتمس من جلالتكم الجواب :

ـ الجواب ؟ هل تظن أن من الحكمة فى شىء أن أطلق يد هذه الفتاة فتضع ملايين أبيها بين أيدى أعدائى ؟

ـ يا مولاى : ان أعداء جلالتكم لم ينالوا هذه الملايين بعد فالجنرال تريباسوف يناهز الخامسة والستين من العمر ولكنه لا يزال ممتلئا صحة ونشاطا . وسيعيش طويلا .

وخلال ذلك سوف يكون أعداؤك قد جردوا من سلاحهم واخضعوا .

فغمغم القيصر بصوت أجوف .. ما الذى يجردهم من سلاحهم ويخضعهم ؟

فقال بوريل بهدوء : الاصلاح الاجتماعى يا مولاى .

فنظر القيصر الى محدثه الجرىء واحمر وجهه غضبا .. غير أن بوريل لم يغض الطرف أمام نظراته .

قال القيصر : هذا كلام طيب يا فتى . ولكنك تتكلم كالاطفال .

ـ الاصلاح الاجتماعى . والرحمة يا مولاى .

فأطرق القيصر برأسه لحظة ثم غمغم .

ـ حسنا . سأترك الأمر لحكمة ناتاشا وأرد اليها صكها .

ودق القيصر الجرس :

أما بوريل فانه خرج الى غرفة الانتظار . وهناك رأى كوبريان وماترينا بتروفنا . فنظر الى الأول فى تهكم وقال :

ـ أرى انك عملت بنصيحتى . واصغيت الى صداقتى .

فلم يجب كوبريان .

أما ماترينا بتروفنا فانها نظرت الى بوريل نظرة غامضة ولم تنطق بكلمة . وما هى الا لحظة حتى دعيت هذه السيدة الباسلة للتشرف بمقابلة القيصر .

وانتهز كوبريان هذه الفرصة فسأل بوريل فى قلق .

ماذا حدث ؟

ـ حدث يا سيدى أننى برأت نفسى أمام القيصر من جميع التهم التى الصقتها بى . وان جلالته لا يزال حائرا بين جوستاف بوريل وارسين لوبين .

قلت لك اننا ننتظر رد الحكومة الفرنسية .

فقال بوريل وعلى شفتيه ابتسامة غامضة :

- تستطيع أن تبلغني هذا الرد ببرقية تبعث بهـــا الى باريس ، باسم جوستاف بوريل ، او أرسين لوبين .

ثم نظر في ساعته واستطرد :

- وذلك لانني معتزم الرحيل بقطار الساعة السابعة .

- وجواز السفر ؟

- أعتقد أن جلالة القيصر سيمنحني جوازا خاصا يخولني حق السفر في جميع انحاء أوربا مجانا .

- وناتاشا ، ماذا تفعل بها ؟

- ماذا تفعل بها ؟ الم تطلق سراحها بعد ؟ الم اقل لك انها بريئة ؟

- من السهل أن تقول ذلك ، اذا كانت ناتاشا بريئة فمن هو المجرم اذن ؟

- يوجد مجرمان ، احدهما ميتشيل ، والثاني ؟ اصغ .

واشار بوريل باصـــبعه نحو مكتب القيصر ، فارهف كوبريان أذنيه .. وسمع بكاء ماتريا يتروفنا .. وعبارات الندم والاسف .

فدهش كوبريان وذعر .. ولم يستطع ان يصدق أذنيه . وفجأة .. فتح الباب ، وخرج القيصر ..

كانت تبدو على وجهه علامات الغضب الشديد .

قال له القيصر :

- سيدي .. يهمني كثيرا ان أرى الآنسة ناتاشا فيودور هنا قبل انقضاء ساعة .

يجب أن يؤتى بها محوطة بما هو جدير بمـــركزها من الاحترام والتكريم .